سلسلة المعارف التعليمية

دروس تمهيديّة في
العَقيدة الإسلاميّة

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد مركز نون للتأليف والترجمة

سِلْسِلَةُ المَعَارِفِ التَعْلِيمِيَّة

دروس تمهيديّة

في العقيدة الإسلاميّة

اسـم الكـتاب:	دروس تمهيديّة في العقيدة الإسلاميّة
إعـــــــداد:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة – مركز نون للتأليف والترجمة
نـشـــــــر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة الثانية:	2016م – 1437هـ

©جميع حقوق الطبع محفوظة

سلسلة المعارف التعليمية

دروس تمهيديّة
في العقيدة الإسلاميّة

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة ٩

الدرس الأوّل: العقيدة ودورها في حياة الإنسان..... ١١

تمهيد ١٣

منابع المعرفة..... ١٤

تقييم الطرق الثلاث ١٥

ميزات وفوارق ١٦

طريق تحصيل المعرفة القلبية ١٨

الدرس الثاني: الفطرة ٢١

تمهيد ٢٣

معنى الفطرة ٢٣

خصائص الأمور الفطرية ٢٤

الخصوصية الأولى..... ٢٦

الخصوصية الثانية ٢٧

فرضيات دوافع ظهور الدين ٢٨

فطرة الدين بنظر الإسلام ٢٨

الدرس الثالث: إثبات وجود الله..... ٣١

هل يحتاج وجود اللّه إلى دليل؟ ٣٣

برهان الحدوث ٣٣

دليل النظام..... ٣٥

الدليل على أنَّ العالم منظَّم ٣٦

الدماغ والعشرون مليون عصب ٣٦

المقدّمة الثانية ٣٧

الدرس الرابع: التوحيد ٣٩
أهميّة التوحيد ٤١
دلالة النبوّة على التوحيد ٤٢
وحدة النظام دليل على التوحيد ٤٣

الدرس الخامس: مراتب التوحيد ٤٧
مراتب التوحيد ٤٩
نصاب التوحيد ٥١

الدرس السادس: المعيار الفاصل بين التوحيد والشرك ٥٣
تمهيد ٥٥
الولاية التكوينية ٥٦
الولاية التشريعيّة ٥٧

الدرس السابع: الصفات الإلهيّة ٦١
الصفات السلبية ٦٣
الصفات الثبوتية ٦٤
توضيح بعض الصفات الذاتية ٦٤

الدرس الثامن: العدل الإلهي ٦٧
أهمّية العدل ٦٩
معنى العدل ٦٩
الدليل على العدل ٦٩
بعض الإشكالات حول العدل الإلهي ٧٠
حقيقة السعادة والشقاء ٧١

الدرس التاسع: البلاء ٧٥
سبب البلاء ٧٧
الحكمة والفائدة من البلاء ٧٩
تكامل الروح ٨٠

الدرس العاشر: الجبر والتفويض ٨٣
تمهيد ٨٥

عقيدة الجبر والعدل الإلهي ٨٥
العوامل التي عزَّزت فكرة الجبر ٨٦
عقيدة التفويض ٨٧
المدرسة الوسط: لا جبر ولا تفويض ٨٨
القرآن ومسألة الجبر والتفويض ٨٩

الدرس الحادي عشر: ضرورة النبوة ٩٣
تمهيد ٩٥
نزاهة الفكر ٩٦
التقنين منحصر بالله عزّ وجلّ ٩٧
الوحي والنبوّة على مدى التاريخ ٩٨
لزوم الاعتقاد بجميع الأنبياء ٩٨

الدرس الثاني عشر: طرق معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٠١
تمهيد ١٠٣
عناصر الإعجاز في القرآن الكريم ١٠٥

الدرس الثالث عشر: عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٠٩
تمهيد ١١١

الدرس الرابع عشر: ختم النبوّة وضرورة الإمامة ١١٧
ختم النبوّة ١١٩
ضرورة الإمامة ١١٩
النصّ على الإمام عليّ عليه السلام ١٢٠
حديث الغدير ١٢١

الدرس الخامس عشر: إمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ١٢٥
روايات إمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام ١٢٧
محتوى هذه الأحاديث ١٢٨
تعيين الأئمّة عليهم السلام بالاسم ١٢٨
الأفضليّة دليل على الإمامة ١٢٩

الدرس السادس عشر: الإمام المهدي عجل الله فرجه ١٣١

القرآن وحتميّة الحكومة الإلهيّة العالميّة ١٣٣
من هو مؤسّس الحكومة الإلهيّة؟ ١٣٣
من هو المهديّ؟ ١٣٤
هل وُلد المهديّ؟ ١٣٥
زمان ظهور الإمام ١٣٦
دولة الإمام ١٣٧
ولاية الفقيه ١٣٧

الدرس السابع عشر: المعاد ١٣٩

١. الحكمة الإلهيّة ١٤١
٢. العدالة الإلهيّة ١٤٢

الدرس الثامن عشر: الانتقال إلى العالم الآخر ١٤٥

تمهيد ١٤٧
عالم البرزخ ١٤٧
عالم القيامة ١٤٨
المعاد جسمانيّ وليس روحانياً فقط ١٤٨
نطق الجوارح في القيامة ١٤٩

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله ﷺ وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

لا يخفى أنّ للعقيدة تأثيراً كبيراً في تكوين وشخصية الإنسان على المستويين الفكري والسلوكي، حتّى أنّ البعض اعتبر علم العقيدة أشرف العلوم، لموقعه المتقدّم في تشكيل فكر الإنسان وبنائه العملي. وثقافة الإنسان كما كان يعبِّر إمام الأمّة الراحل الإمام الخميني (رضوان الله عليه) هي: «**منشأ كلّ سعادة أو تعاسة في الأمّة**».

من هنا كان حرص علمائنا الأبرار على نشر العقيدة السديدة بين أبناء الأمّة، لا سيّما في هذا العصر الذي تشهد فيه الأمّة هجمة ثقافية مركَّزة بهدف إبعاد الشباب المسلم عن الالتزام بالدين الحنيف.

ولأجل تركيز الهويّة الإسلاميّة الأصيلة في أبناء الأمّة، ودفع الشبهات التي قد ترد على أذهانهم فيما يتعلّق بأصول عقيدتهم، فقد قمنا بإعداد هذا الكتاب «**دروس في أصول العقيدة الإسلاميّة**» في إطار سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة التي تصدرها جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، ليكون كتاباً دراسياً في متناول روَّاد العلم والمعرفة. وقد تمَّ اختيار موضوعاته كمّاً وكيفاً بما يتناسب مع مستويات المراحل الأولى لطلاب العقيدة، وامتاز بالأسلوب الواضح، والمنهج القويم الذي يعتمد النصوص القرآنيّة والسنَّة النبويّة، إضافة إلى الإستدلال العقليّ والفطري أساساً في بيان أصول العقيدة.

وقد اقتُبست معظم الدروس الواردة فيه (وهي ثمانية عشر درساً) من كتاب «**دروس في أصول العقيدة الإسلاميّة**» للعلامة آية الله الشيخ محمّدي ري شهري الذي كانت الجمعية قد نقلته إلى اللغة العربية وقامت بطبعه ونشره في سنة 1996م، وبالتالي فإنّ كتابنا هذا

يمثّل خلاصة بحوث ذلك الكتاب ولم نضف عليه سوى بعض المباحث في التوحيد والعدل والمعاد مما لم يشتمل عليه كتاب الشيخ ري شهري في ترجمته العربية، علماً أنّ تلك المباحث التي أُضيفت تم اختيارها من كتب قيّمة لعلماء بارزين كان لهم الدور الكبير في تربية الجيل الجهادي الصاعد، وإعداده لحمل الأمانة الإلهيّة الكبرى، والكتب هي:

1. «**معارف القرآن**» لآية الله الشيخ مصباح يزدي.
2. «**المعارف**» لآية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
3. «**العقيدة الإسلاميّة**» لآية الله الشيخ جعفر السبحاني.
4. «**المعاد في القرآن**» لآية الله الشيخ حسين مظاهري.

ولذلك فإنّ بإمكان الأستاذ والطالب الرجوع إلى هذه الكتب إذا أراد التوسّع.

وقد أدرجنا في الطبعة الجديدة، بعض الإضافات التوضيحيّة، والأمثلة المفيدة، وأجرينا بعض التصحيحات التي وجدناها ضروريّة، ليخرج الكتاب بإخراج جديد وحلّة جديدة.

نسأل الله سبحانه أنْ ينفع المؤمنين المجاهدين بهذا الكتاب، وأنْ يكون محلّاً لرضا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، وذخيرة لنا ولكلّ طلاب المعرفة يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله ربّ العالمين

مركز نون للتأليف والترجمة

الدرس الأوّل

العقيدة ودورها في حياة الإنسان

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يميِّز بين قسمي المعارف العامة والمصيرية.

2 . يبيِّن منابع المعرفة ويقيّمها.

3 . يميّز بين المعرفة العقلية والقلبية.

تمهيد

الإنسان موجود يبحث عن الكمال والسعادة ويسعى بكلّ جهده للوصول إليهما، لكنّه يدرك بالبديهة أنّ الوصول إلى السعادة يحتاج إلى المعرفة والعمل، كما قال الإمام عليّ عليه السلام لكميل: «**يا كميل ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة**»[1].

ولكن ما هي الأمور التي لا بدّ من أنْ نتعرّف إليها؟ وهل يجب معرفة كلّ شيء؟

يمكن أنْ نقسم المعارف إلى قسمين أساسين:

1. **المعارف العامّة:** وهي المعارف والعلوم المرتبطة بالحياة الدنيا ولا تتعدّاها، بل تنتهي بانتهائها.
2. **المعارف المصيرية:** والتي تتميز عن العامّة بعلاقتها بمصير الإنسان وسعادته وشقائه، وهي الأمور التي يمكن للإنسان أنْ يطمئنّ على مصيره النهائي من خلال التعرّف إليها. وعلم العقيدة هو العلم الذي يتكفّل بالإجابة عن الأسئلة المصيرية، وقد عبّر أمير المؤمنين عن تلك الأسئلة بقوله: «**رحم الله أمرءاً عرف من أين وفي أين وإلى أين**»[2].

وبعبارة أخرى أنْ يتعرّف الإنسان إلى المبدأ والطريق والهدف، وهي الأمور التي تعبّر عنها أصول الدين: التوحيد والنبوّة والمعاد.

وبما أنّ لكلّ علم أسلوباً خاصّاً به للتوصّل إلى النتائج المرجوة كالتشريح بالنسبة

---

(1) العلامة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج74، ص267، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر دار إحياء التراث العربي ـ لبنان، ط3، 1983م، الباب 11، وصيته عليه السلام لكميل.

(2) معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام ص 88، شرح السيد علي القبانجي، طبع ونشر مؤسسة إسماعيليان ـ قم، ط2، 1406هـ.

لعلـم الطـبّ، كان أسلوب علم العقيدة هو الاستدلال العقليّ، وهـذا لا ينافي أنّ بعض الأمور العقائدية يُستدلّ عليها بالأدلّة النقلية. ومن المؤكّد أنّه ليس هناك عقيدة كالإسلام تعطي أهمّية للعقل والفكر.

لقـد استُعمل لفظ (علـم) في القرآن 105 مرات، واستعملـت صيغها المختلفة أكثر من 770 مـرّة، كما استُعملـت مادة (عقل) 49 مرّة، ومادة (فقه) 20 مـرّة، ومادة (فكر) 18 مرّة، بحيث يدعو الناس إلى الفكر والتفكّر والتفقّه والتعقّل بإصرار شديد.

قال تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[1].

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له**»[2].

يصـفُ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام العقل لهشام بن الحكم، قائلاً عليه السلام: «**يا هشـام إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾»[3].

منابع المعرفة

ولتوضيـح المطلـب كان لا بدّ من التعرّف إلى منابع المعرفة التـي يملكها الإنسان، وبتعبير آخر النوافـذ التـي يرى من خلالهـا العالم الخارجي، فالإنسـان يمتلك ثلاثة منابـع، أو نوافذ، لمعرفة الكون، وهو يتعرّف إلى حقائق الوجود من خلالها.

وإنّ جميع العلوم والمعارف الإنسانية إنّما يحصل عليها الإنسان من إحدى هذه النوافذ والأدوات، وكلّما انسدّت إحدى هذه النوافذ فإنّ الإنسان سيفقد علماً ومعرفة ترتبط بها، وهذه المنابع هي:

1 ـ الحسّ. 2 ـ العقل. 3 ـ القلب.

---

(1) سورة الأنفال، الآية 22.

(2) السيـد البروجردي، السيد حسيـن، جامع أحاديث الشيعة، ج 13، ص284، المطبعـة العلمية ـ قم، منشورات مدينة العلم ـ قم، 1407هـ، باب ما ورد في فضل العقل، ح704.

(3) الشيخ الكليني، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي، ج1، ص 13، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية ـ طهران، مطبعة الحيدري، 1363ش، كتاب العقل والجهل، ح12. (سورة الزمر، الآيتان 17. 18).

المنبع الأوّل: الحسّ

أول منبــع للمعرفــة عند الإنسان هو الحسّ، ومقصودنا بالحســّ هنا هو الحواسّ الخمس (البصر، السمع، الشمّ، الذوق، اللمس).

وكلّ واحدة من هذه الحواسّ تعطي الإنسان نوعاً خاصّاً من المعرفة، وبفقدان إحدى هذه الحواسّ لا يعود هذا النوع ممكناً له، وفي هذا المجال يقال «**من فقد حساً فقد فقد علماً**»، والحقيقــة هي كذلك، لأنّ الذي يولد أعمى لن يستطيع أنْ يتعرّف إلى الألوان والأشكال، ولن يفيده أيّ توضيح وبيان في معرفتها، وهكذا الأصمّ بالنسبة إلى الأصوات والأنغام وغيره.

وينحصر دور الحواسّ في التعرّف إلى الأمور الماديّة.

المنبع الثاني: العقل

كل عاقل يدرك معنى العقل، وإنْ لم يتمكّن من بيانه باللغة العلمية.

وببيان علمي: العقل هو مركز الإدراك الذي يقوم بإدراك مفاهيم الأشياء وصورها.

مثلاً تتصور الحرارة وغليان الماء، فتستدلّ على أنّ الحرارة علّة لغليان الماء.

أو عندمــا ترى ناراً وترى أنّها تحــرق وتجرّب ذلك مرّة ثانية فتجدها تحرق فتقول إنّ كلّ نار محرقة.

فالعقل هو الطريق الأساس للإستدلال و تركيب البراهين.

المنبع الثالث: القلب

من البديهي أنّه ليس المقصود من القلب مضخّة الدم، بل المقصود من القلب في مبحث المعرفة هو مركز الإحساسات الخاصّة التي لا تحصل عن طريق الحواسّ الخمس ولا العقل، مثل: الإحساس بالرحمة، والحبّ، والبغض وغير ذلك.

تقييم الطرق الثلاث

ممــا لا شكّ فيــه أنّ لكلّ منبع من منابع المعرفة حدّاً لا يتعــدّاه إلى غيره، وله خصائص وميّزات، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عن أيّ منبع للمعرفة بالاعتماد على منبع آخر، فالحواسّ لا يمكنهــا أنْ تتعــرّف إلــى الله تعالى لأنّ حــدود الحواسّ أن تنال الأمــور الماديّة فقط ولا يمكن أنْ تتعرّف إلى الأمور المجرّدة، لأنّها خارجة عن حدود الحواسّ، ولذلك لا يمكن إنكار

المجـرّدات لمجـرد أنّ حواسنـا لا تدركها، ولعـلّ كلّ من أنكر وجود الله تعالـى كانت حجّته الظاهرية أنّه لم يرَ الله تعالى، فكيف يؤمن بشيء لا يراه؟ والجواب:

أوّلاً: إنّ وجـود الله تعالـى مجـرّد، فهو خارج عن قدرة الحواسّ أصـلاً، ولذلك لا ننكره لمجرّد كونه غير قابل للإدراك بالحواسّ.

ثانيـاً: إنّ كلّ إنسـان يعتقـد بمجموعـة مسائل، مع أنّهـا خارجة عـن الإدراك الحسّي، كاعتقاده بوجود العقل، والأحاسيس الباطنية مثلاً.

أما الطريق العقليّ فهو أنْ يُثبت الإنسان وجود الله تعالى كما يثبت وجود شخص بصفات معينـة من خلال آثاره، فأنت تستدلّ على وجـود مهندس بارع وصاحب ذوق رفيع وخبرة من خـلال البناء المنسوب إليـه، وهذا بالضبط ما تتكفّل به بعض الأدلّة العقليّة بالنسبة لوجود الله تعالى من خلال المخلوقات كما سيأتي لاحقاً.

أما بالنسبة للقلب فهو أنْ يشعر الإنسان بوجود الله تعالى كما يشعر بوجود نفسه، ويحسّ بوجود الخالق في باطنه، مثل بقيّة الإحساسات الداخلية.

يعنـي أنّه كما أنّ الإنسـان يحسّ بالجوع والعطش، وكما يحسّ بالتعلّـق بالولد فهو بالدّقة يحسّ كذلـك بالله سبحانه في وجوده. ومـن الواضح أنّ إدراك وجود شـيء بالشعور القلبي أقـوى من الاستدلال عليه بالعقل، بل لا تعود هنـاك حاجة للاستدلال عليه أصلاً، فهل رأيت عاقلاً يستدل على وجود نفسه؟

ميزات وفوارق

قد يُطرح سؤال هنا وهو: ما هو الاختلاف بين المعارف العقليّة وبالخصوص معرفة الله عن طريق العقل وبين المعارف القلبية وبالخصوص معرفة الله عن طريق القلب؟

والجواب: إنّ الاختلاف بينهما هو كحدّ أدنى على أنحاء ثلاثة:

1. المعرفة القلبية إحساس والمعرفة العقليّة علم

هذا الاختلاف هو عبارة عن الاختلاف بين الإحساس والعلم، فمعرفة الله ـ وغيره ـ عن طريـق القلـب هي إحساس وعن طريق العقـل هي علم؛ فكما أنك لا تشـكّ بوجود شيء تراه بعينيك وإنْ لم يره غيرك كذلك لا تشكّ بوجود الله لأنّك تراه بعين قلبك، وإنْ لم يره غيرك.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

«إلهي تردّدي في الآثار يوجبُ بعدَ المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك»[1].

كم هي جميلة ودقيقة وعميقة هذه الكلمات، وهي تعني أنّه يا إلهي أنا إذا أردت أنْ أتحرّك نحوك عن طريق العقل والآيات والآثار فهذا الطريق طويل جداً، ويوصلني متأخراً إلى وصلك، فأرشدني إلى طريق أقرب، واهدني إلى عمل يوصلني إلى وصلك، ويجعل قلبي مكاناً لتجلّي أنوارك، لأحسّ بك بقلبي بأسرع ما يكون.

«كيف يُستدَلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟

متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً»[2].

«إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار...»[3].

2. المعرفة القلبية فردية، والمعرفة العقليّة عامة

من الاختلافات - والتي تتفرّع عن الفارق الأوّل - أنّ معرفة الله عن طريق القلب وغيرها من المعارف القلبية فريدة، أيْ هي خاصّة بصاحبها وهذا نتيجة طبيعية لكون هذه المعرفة إحساساً، فلا تقبل النقل للآخرين والتعليم والتعلم، على خلاف معرفة الله عن طريق العقل فهي ليست فردية وهي قابلة للتعليم والتعلم ويمكن نقلها للآخرين.

إنّ معرفة الله عن طريق القلب لا يمكن إبرازها في قالب الاستدلال، وهي ليست أمراً قولياً بل هي أمر ذوقيّ، وهي كما قيل نوع من التجربة الباطنية لا يمكن نقلها للآخرين، كما أنّ المبصر لا يستطيع أن يبيّن للأعمى اللون وإدراكه له ومعرفته به، وكما أنّ الإحساس بالجوع والعطش لا يقبل النقل للآخرين فكذلك الشخص الذي يستطيع أن يحسّ بالله عن طريق القلب، لا يستطيع أن ينقل إحساسه إلى من كان بصر قلبه أعمى.

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 95، ص 225.
(2) م. ن، ج 64، ص 142.
(3) م. ن، ج95، ص 226.

3. المعرفة القلبية والتقوى توأمان

ومن الاختلافات بين معرفة الله عن طريق القلب، ومعرفة الله عن طريق العقل، هي أنّ المعرفة القلبية توأم للعمل والالتزام والتقوى، ولكن المعرفة العقليّة يمكن أنْ تكون مع التقوى ويمكن أنْ تكون بدونها، بل يمكن أنْ تكون مترافقة مع الكفر.

يقول سبحانه في القرآن الكريم في عدم إيمان قوم فرعون:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ...﴾[1].

وعليه يمكن أنْ يصدّق العقل بالله عزّ وجلّ ولكن اللسان ينكره، ويعمل الإنسان خلاف ما يعلم، ولكن لا يمكن أنْ يحسّ القلب بالله وينكر اللسان، ولا يمكن أنْ توجد المعرفة القلبية ولا يوجد الالتزام والتقوى، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له»[2].

هذه المعرفة هي المعرفة القلبية التي هي توأم الالتزام والعمل. وبناءً على هذا فإنّ الأساس فيما يرتبط بمعرفة الله من الناحية الفردية والشيء الذي له قيمة من الناحية العملية، وله الدور الأساس فيما يرتبط بتكامل الإنسان، هو المعرفة القلبية.

طريق تحصيل المعرفة القلبية

من الواضح أنّ سعادة الإنسان هي في ظلّ المعرفة القلبية، ولكن كيف يصل الإنسان إليها؟ الجواب المختصر والواضح أنّ الباب الذي يوصلنا إلى القلب هو العقل، ومن النادر جدّاً أنْ يصل الإنسان إلى المعرفة القلبية من دون الدرس والتحصيل والإستدلال العقليّ، يقول الإمام الخميني قدس سره: **«العلوم بذور المشاهدات»** وهذا يعني أنّ الإنسان لا بدّ له من الوصول إلى القناعة العقليّة ليصل من بعدها إلى الإيمان القلبي. ونحن في الدروس المقبلة سنبيّن الأدلّة العقليّة على مختلف القضايا العقائدية عسى أنْ تكون طريقاً للإيمان الذي هو رأس مال سعادة الإنسان.

---

(1) سورة النمل، الآية 14.

(2) الشيخ، الكليني، الكافي، ج1، ص44.

للمطالعة

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1]: المقابلة بين الإسلام والإيمان تفيد مغايرتهما نوعاً من المغايرة والذي يستفاد منه نحو مغايرتهما قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

أوّلاً: إنّ الإسلام هو تسليم الدين بحسب العمل، وظاهر الجوارح والإيمان أمر قلبي.

وثانياً: إنّ الإيمان الذي هو أمر قلبي، إعتقاد وإذعان باطني، بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح. فالإسلام هو التسليم العملي للدين بإتيان عامّة التكاليف والمسلمون والمسلمات هم المسلمون لذلك، والإيمان هو عقد القلب على الدين، بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح، والمؤمنون والمؤمنات هم الذين عقدوا قلوبهم على الدين، بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح، فكلّ مؤمن مسلم ولا عكس.

السيد الطباطبائي، تفسير الميزان ج١٦، ص٣١٣، ٣١٤.

(1) سورة الأحزاب، الآية 35.
(2) سورة الحجرات، الآيتان 14 ـ 15.

الدرس الثاني

الفطرة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يفسِّر معنى الفطرة.

2 . يشرح خصائص الأمور الفطرية.

3 . يستدل على فطرية التديّن.

تمهيد

إدّعى بعض أنّ الدين قد صنعه الإنسان إرضاءً لبعض الحاجات الروحية أو استغلالاً للسذّج من بني البشر، وبالتالي كلّ الأمور الدينيّة ليست من الحقيقة في شيء. وفي المقابل يقول أتباع الأديان إنّ الدين ينبع من فطرة الإنسان الداخلية، وهو أمر طبيعي وليس أمراً مصطنعاً. ولتوضيح ذلك لا بدّ من معرفة عدة أمور:

1. معنى الفطرة.
2. خصائص المعارف الفطرية.
3. فطرية التديّن.

معنى الفطرة

لقد استخدم القرآن الكريم كلمة الفطرة في قوله تعالى: ﴿... فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ ...﴾[1].

والفطرة لغة بمعنى: الخلقة والإيجاد.

واصطلاحاً: هي مجموعة من الصفات والقابليات التي تُخلق مع المولود، ويتّصف بها الإنسان في أصل خلقته سواء القابليات البدنية، أم النفسية، أم العقليّة. والفطرة تهدي الإنسان إلى تتميم نواقصه ورفع حوائجه، إذا تحققت شروطها وارتفعت الموانع من تأثيرها، وسيأتي بيان ذلك.

---

(1) سورة الروم، الآية 30.

خصائص الأمور الفطرية

أوّلاً: توجد بشكل لا اكتسابيّ ودون توسّط الفكر والتعليم.

فالمعـارف الفطرية الإنسانية، عبارة عن الخصائص والصفات غير المكتسبة، بل تكون لازمـة لخلقـة الإنسان، وتكون مرافقة له منـذ بداية تكوّنه ووجوده بشـكل طبيعيّ. ولهذا قد تسمّى طينة الإنسان.

ثانياً: وجودها عامّ، أيّ موجودة عند كلّ البشر.

لأنّهـا – كمـا ذكرنا سابقاً– من الأمور الطبيعية التي توجـد مع الإنسان منذ بداية خلقه. وعليه ليس هناك استثناء فيها بل هي عامّة وشاملة.

فـكلّ شعور وإحساس موجود عند الإنسـان وسارٍ في جميع الأفراد يُعتبر أمراً فطرياً. أمّا إذا كان غيـر شامل لجميـع الأفراد أو كان لا يحصل إلّا بالتفكيـر والتعليم فلا يكون فطرياً، وإنّما حصل بالاكتساب والتعليم والتلقين.

ولكـنّ هـذه المعارف الفطرية مشترطة بحصول شروطها الخاصّـة، فكما أنّه في الميول الجنسية لا بدّ من حصول البلوغ، لذلك لا نجدها قبل وصول زمانه، وقد لا تصير فعلية لوجود مانـع ما كالمرض مثلاً. وكذلك الأمر في جميع الأمور الفطرية فهي ليست مطلقة بل مقيّدة بشروطها الخاصّة. وعدم وجود الموانع التي تمنع وصولها إلى درجة الفعلية، وعدم فعليتها لا يعني أنّها ليست فطرية بعد تحقق الخصوصيّتين المذكورتين سابقاً، فتحقّق الخصوصيّتين يكفي لمعرفة أنّ هذا الأمر فطري أو لا.

فطريـة التديّن تعنـي أنّ الإنسان خُلـق بحسب البنـاء الروحـي والفطرة الذاتية محتاجـاً ومريـداً لله، وقد جعـل البحث عـن الله وعبادته حاجة وحسّـاً أصيلاً في طبيعة البشر.

ولإثبات فطرية التديّن في الإنسان يجب إثبات مسألتين:

1. أنّ الإنسان فضلاً عن كونه يدرك الله سبحانه بعقله فهو يحسّ بحاجة له في باطنه.
2. هذا الإحساس له جذور في فطرة الإنسان، ولم يوجد نتيجة التلقين والتعليم.

إثبات المسألة الأولى وهي الإحساس بالحاجة لله عزّ وجلّ

إذا أردنــا أنْ نجمع نظريات العلماء المعروفين في العالم الذين يعتقدون بفطرية التديّن فنحن نحتاج إلى كتاب منفصل، ولكن سنذكر هنا آراء بعض منهم في هذا المجال.

يقول ألكسيس كارل:

«الإنسان كما يحتاج للماء والأوكسيجين هو محتاج لله أيضاً».

يقــول الأستاذ الشهيد العلامة المطهري: **«إنَّ (يونـغ) تلميذ فرويد المعروف وهو أحد علماء علم النفس المعاصـرين كان يعتقد بأصـالة الحسّ الدينيّ في عمق وجدان البشر، ويرفض نظرية أستاذه المبنية على أنّ الإحساس الدينيّ هو إحساس ماديّ».**

يقول يونغ: «إذا اطّلعنا على الأمم السابقة فإنّنا سنجد أنّ الإنسان لديه غريزة التديّن وأنّ هذه الغريزة تؤثّر فيه بقوّة كتأثير غرائزه الجنسية».

يقول صاحب كتاب «الحسّ الدينيّ أو البعد الإنسانيّ الرابع»:

«إنّ الحسّ الدينيّ هو أحد عناصـر الروح الإنسـانية الثابتة والطبيعيّة وأكثر أقسامها أصالة وأشدّها ماهويّة وهو غير قابل للتبديل بأيّ واحد من الظواهر»[1].

إذاً، ليس هناك أيّ شكّ في وجود حسّ التديّن في الإنسان، وحتّى الماديّين لا ينكرون هذا الإحساس، ولكنّهم يقولون إنّه ليس من الإحساسات الأصيلـة بل هو معلول للتلقين والعادة، وعليـه فإنّ الأسـاس في إثبات فطرة البحث عن الله في الإنسان هـو ثبوت أنّ هذا الحس له جذور في الفطرة، وليس مسبباً عن العادة.

ولإثبـات المسألـة الثانية وهي فطرية الإحساس الدينيّ، يجـب أنْ نرى هل أنّ خصائص المعارف الفطرية التي مرَّ بحثها سابقاً صادقة في مورد حسّ الحاجة لله أم لا؟

قلنا: إنَّ الأمور الفطرية تحتوي على خصوصيّتين:

إحداهما: أنّها لا اكتسابية.

والأخرى: أنّها عمومية وشاملة.

فهل يتّصف حسّ عبادة الله بهاتين الخصوصيّتين أم لا؟

---

(1) هذه الآراء مأخوذة من كتاب «الإنسان ذلك المجهول»، ألكسيس كارل.

الخصوصية الأولى

إنّ التجربة الباطنيّة لكلّ وجدان نقيّ تشهد أنّ البحث عن الله والميل إلى عبادته والإحساس بالحاجة إلى الكمال المطلق له جذور في فطرة وجبلّة الإنسان، وينبع من فطرته ويستمدّ وجوده من ذاته.

هذه التجربة الباطنية التي تشهد أنّ الإحساس بالعطش والجوع والميول الجنسية توجد في الإنسان بشكل لا شعوري، هي نفسها تشهد أنّ الميل للكمال المطلَق هو في الإنسان لا شعوريّ أيضاً.

وإنّ عين هذه التجربة الباطنية تشهد أنّ الإحساس بالجوع والعطش والميول الجنسية لم يوجد في الإنسان نتيجة مشاهدة الماء والطعام والزوج.

بل إنّ هذه الإحساسات والميول التي لها جذور في ذات الإنسان، هي نفسها تثبت أنّ الإحساس بالميل نحو الكمال المطلق، القدرة المطلقة، العلم المطلق والجمال المطلق في الإنسان هو ليس نتيجة التعليم والتلقين وتكرار مراسم العبادة، بل هو إحساس ممزوج بذات الإنسان.

وفي هذا المجال يرى الإنسان نفسه عندما يصل إلى أية مرحلة من القدرة والتكامل الماديّ أكثر حاجةً وعطشاً. فلو حكم الدنيا كلّها يجد نفسه محتاجاً لحكم جميع الكواكب الأخرى، ولو كانت ثروات العالم كلّها له فهو يفكر في الحصول على منابع أخرى للثروة، مثل العطشان الذي يشرب من ماء البحر بدل أنْ يشرب من الماء العذب فهو ليس فقط لا يرتوي عطشه بل يزداد.

ولكن بقدر ما يقرب من الكمال المطلق تقلّ حاجاته فيرتوي عطشه تدريجياً كالعطشان الذي وصل للماء، حتّى يصل إلى درجة الخلافة الإلهيّة ويصير مَثَل الله، «**عبدي أطعني تكن مثلي**.....» والمخاطب بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1].

(1) سورة الفجر ، الآيتان 27 و 28 .

وهنا يصل إلى السكينة والإطمئنان المطلق.

وكما أنّ الإنسان قد يفقد الإحساس بالجوع أو العطش أو الميول الجنسية لمانع وهو المرض مثلاً، أو يقوم نتيجة اعتقاده بأيديولوجية وطراز تفكير خاصّ بمخالفة إحساساته وميوله ويتّجه نحو الرياضة والرهبنة، كذلك قد يفقد الإنسان بسبب أمراض روحية خاصّة حسّ عبادة الله، أو يناهض هذا الإحساس نتيجة نوع خاصّ من التفكير ويميل نحو الماديّة. فإذا ارتفعت هذه الموانع عادت الفطرة لتؤثر أثرها، وتربط الإنسان بالله تعالى، وهذا ما يجده الإنسان عندما يبتلى ببلاء شديد تنقطع معه كلّ السبل الماديّة التي تمنعه من الارتباط بالله تعالى، فإنّك ستجد هكذا إنسان قد توجّه لله تعالى مباشرة، فالمريض بمرض مستعصٍ على العلاج، والذي انقطعت معه الأسباب الماديّة للعلاج، فإنّ هكذا مريض يعود ليرتبط بالله تعالى بروحه وقلبه وبشدّة، وهذا ما حاول القرآن الكريم أنْ يبيّنه لنا من خلال جملة من الآيات منها قوله تعالى ﴿و وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] ومنها قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وكذلك النبيّ وأهل بيته عليهم السلام ركّزوا على هذا الأسلوب في بيان الفطرة وكيفية ظهورها.

الخصوصية الثانية

إنّ دليل عمومية هذا الإحساس نكتشفه من خلال ما دُوّن في التاريخ، وعصور ما قبل التاريخ والآثار والقرائن. وعلماء التاريخ والآثار يؤكّدون أنّ البشر كانوا يملكون الحسّ الدينيّ على مدى العصور وإنْ كانوا في كثير من الموارد يشتبهون في تشخيص الإله الحقيقي.

(1) سورة يونس، الآية 12.
(2) سورة يونس، الآيتان 22 و 23.

يقول (بلوتارك) المؤرخ اليوناني المشهور:

«إذا ألقيتم نظرة إلى ساحة الكون فإنّكم ستجدون كثيراً من الأماكن التي ليس فيها لا عمران ولا سياسة ولا علم ولا صناعة ولا حرف ولا دولة ولكن لا يمكن وجود مكان لم يكن الله فيه».

فرضيات دوافع ظهور الدين

إذا اتّضح مبحث خصائص المعرفة الفطرية، وانطباق الخصائص على الإحساسات الدينيّة بشكل جيّد، فإنّنا سنستنتج أنّ الفرضيات التي تُطرح في ما يرتبط بدوافع وجود الدين هي بدون أساس ومحتوى، لدرجة أنّها لا تستحق الذكر. لأنّه عندما يثبت أنّ الحسّ الدينيّ له جذور في فطرة وطبيعة الإنسان فإنّ الفرضيات التي تقول: «**إنّ هذا الإحساس هو معلول للتلقين والعادة، أو إنّه معلول للجهل بالعلل الطبيعيّة، أو إنّ دافعه هو الخوف، والخوف هو أمّ الإلهيّين كما يقول (راسل الفيلسوف والرياضي الانجليزي) أو كما يقول (دوركهايم عالم الاجتماع الفرنسي): إنّ الإحساسات الدينيّة مشتقّة من الإحساس بالحاجة للاجتماع وأمثال ذلك من النظريات...**» هي بنفسها باطلة ولا حاجة لطرحها والجواب عليها.

فطرة الدين بنظر الإسلام

إنّ حسّ معرفة الله بنظر القرآن الكريم والأحاديث الإسلاميّة هو من الأحاسيس الأصيلة التي لها جذور في ذات الإنسان، بل إنّ الإحساسات الدينيّة والمذهبية هي فطرية أيضاً، وقد أشير في بداية الدرس إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ...﴾[1]. وقد أشار تعالى في الآية إلى الخصوصية الأولى باستخدامه لفظ (فطر) وإلى الخصوصية الثانية باستخدامه لفظ (الناس) الشامل لعموم الناس.

(1) سورة الروم، الآية 30.

وفـي قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ ...﴾ يقول زرارة: سألـت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[1].

قلت: ما الحنفية، قال: «**هي الفطرة**»[2].

ويقـول الإمام الصادق عليه السلام في بيـان حديث رسول الإسلام صلى الله عليه وآله الـذي يقول فيه: «**كلّ مولـود يولـد علـى الفطـرة**»[3]: يعني علـى المعرفة بـأنّ الله عزّ وجلّ خالقـه، فذلك قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[4].

إنّ الآيات والروايات التي تؤيّد وجود فطرة عبادة الله في الإنسان كثيرة نكتفي بنقل هذا المقدار للاختصار.

(1) سورة الحج، الآية 31.
(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، ص 350، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم، 1338ش، باب معنى حمل النبي صلى الله عليه وآله علياً، ح1.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 3، ص 279.
(4) سورة لقمان، الآية 25.

للمطالعة

فطرة حبّ الكمال

إنّ من الأمور الفطرية التي جُبلت عليها سلسلة بني البشر بأكملها، بحيث إنّك لن تجد فرداً واحداً في كلّ المجموعة البشرية على خلافها، ولا شيء من العادات والأخلاق والمذاهب والمسالك وغيرها قد بدّلها أو أحدث فيها خللاً، فطرة «**عشق الكمال**».

فأنت إنْ جلت في جميع المراحل التي مرَّ بها الإنسان، واستنطقت كلّ فرد من أفراد كلّ طائفة من الطوائف والملل تجد هذا العشق والحبّ قد جُبل في طينته، وتجد قلبه متوجّهاً نحو الكمال، بل إنّ ما يحرّك الإنسان ويدفعه في سكناته وتحرّكاته، والعناء والجهود المضنية التي يبذلها كلّ فرد في مجال عمله وتخصّصه، إنّما هو عشق الكمال، على الرغم من وجود الاختلاف بين الناس في تشخيص الكمال، وفي أيّ شيء يتحقّق، وأين يوجد الحبيب والمعشوق.

فالكلُّ يجد معشوقه في شيء ظاناً أنّ ذلك هو الكمال، ويتوهم أنّ كعبة آماله فيه، فيتوجّه إليه ويطلبه بقلبه وروحه.

إنّ أهل الدنيا وزخارفها يحسبون الكمال في الثروة، ويجدون معشوقهم فيها، فيبذلون كلّ وجودهم، والجهد والخدمة الخالصة في سبيل تحصيلها، فكلّ شخص مهما يكن نوع عمله، ومهما يكن موضع حبه وعشقه فإنّه يتوجّه نحو ذلك الشيء، لأنّه يعتقد بأنّه هو الكمال...

إذاً، فنور الفطرة هذا قد هدانا إلى أنْ نعرف أنّ قلوب جميع أبناء البشر، من أهالي أقصى المعمورة وسكان البوادي والغابات إلى شعوب الدول المتحضرة في العالم، وابتداءً بالطبيعيّين والماديّين وانتهاءً بأهل الملل والنحل تتّجه بالفطرة نحو الكمال الذي لا نقص فيه، فهم عاشقون للكمال والجمال الذي لا عيب فيه، والعلم الذي لا جهل فيه، والقدرة التي لا تعجز عن شيء، والحياة التي لا موت فيها، أيّ أنّ «**الكمال المطلق**» هو معشوق الجميع.

الإمام الخميني قدس سره، الأربعون حديثاً، الحديث ١٢.

الدرس الثالث

إثبات وجود الله

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يذكـر أنّ العقل السليـم لا يحتاج إلـى دليل على وجود الله.
2. يستدل على وجود الله من خلال برهان الحدوث.
3. يستدل على وجود الله من خلال برهان النظام.

هل يحتاج وجود اللّه إلى دليل؟

إذا لم يكن الهوى والتعصّب قد أعمى عين القلب وأصمّ أذنه، فلنْ يشكّ أحد بعدم إمكان حدوث الإنسان والأرض والسماء والكون كلّه دون علّة، ولن يشكّ في أنّ الإنسان والكون لا يقدر أن يخلق نفسه. وهل يستطيع أحد أنْ ينكر الإله العالم القدير؟ أو هل يستطيع العقل السليم المنصف أنْ يشكّ بوجود اللّه ليحتاج إلى دليل عليه؟

قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

يعني أنّ العقل السليم من الغرض والمرض بعد النظر في عالم الكون، فإنّه وبدون تردّد لن يجد جواباً لسؤاله عن سرّ الكون إلّا الاعتراف بخالقه العالم القدير.

يقول «**فون براون**» أحد أكبر علماء الصواريخ في أميركا (الماني الأصل) في مقابلة معه: «**اسمعوا، أنا قد تعرّفت إلى كثير من علماء العالم، وأعرف عدداً كبيراً منهم، ولكنّني لم أصادف أحداً يستحقّ أنْ يسمّى عالماً وهو يعطي تفسيراً للطبيعة دون أنْ يذكر الله في ذلك، ودون أن يجعل لله دخلاً في الكون وفيما يسمّونه العلماء باسم الطبيعة**».

ونحن هنا إذ نستعرض الأدلّة على وجود اللّه تعالى فهو من باب إتقان الحجّة لإقناع الآخرين وتنبيه من كانت نفسه غافلة عن هذه الحقائق.

برهان الحدوث

معنى الحدوث هو وجود الشيء بعد أن كان عدماً، وهذا هو حال كلّ شيء من حولنا، فالأشياء كلّها لم تكن ثمّ كانت، وهذا يعني أنّها حادثة، وإذا كانت كذلك فلا بدّ لها من محدِث أيّ خالق، وهذا من الأمور البديهية، وهذا المحدِث لو كان حادثاً لاحتاج بدوره إلى

(1) سورة إبراهيم، الآية 10.

محدِث، فلا بدّ من وجود محدث قديم غير مسبوق بالعدم تُسند إليه كلّ الموجودات الحادثة في العالم.

وهذا البرهان يتألّف من مقدّمتين:

الأولى: العالم حادث

الثانية: لا بدّ لكلّ حادث من محدث.

إستنتاج

لا بدّ للعالم من محدث. لو نظرنا إلى الأمور من حولنا في هذا العالم لوجدنا أنّها موجودات حادثة مسبوقة بالعدم، فكل شيء من حولنا له عمر، أيّ مرحلة بدأ بها، وقد قدّر العلماء عمراً لغالبية الأمور مثل الأرض والشمس و....وهذا يعني أنّها حادثة فالعلم يتكفّل بإثبات المقدّمة الأولى.

أمّا المقدّمة الثانية: فهي من الأمور البديهية التي لا يختلف فيها اثنان، فلا بدّ لكلّ حادث أو معلول من محدث أو علّة، ومع ضمّ المقدّمتين إلى بعضهما البعض تكون النتيجة أنّ العالم كلّه محدَث.

وقد ورد في الحديث أنّ أبا شاكر الديصاني قال للإمام الصادق عليه السلام في إحدى المناظرات:

ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟ فقال عليه السلام: «**وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إمّا أنْ أكون صنعتها أنا، فلا أخلو من أحد معنيين: إمّا أنْ أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يُحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً وهو الله ربّ العالمين**»، فقام ولم يحرْ جواباً[1].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج3، ص 50.

نلاحظ في هذا الحديث الشريف مناقشة ثلاث فرضيات لحلّ لغز الوجود، فإمّا أنْ نقول:

- إنّ عالم الوجود غير محتاج إلى خالق.
- أو أن نقول إنّه خالق نفسه.
- أو إنّ له خالقاً متّصفاً بكمال القدرة والعلم.
- والفرضان الأوّلان باطلان بحكم الفطرة وبديهة العقل.

لذلك يطرح القرآن الكريم هاتين الفرضيّتين باستفهام انكاريّ تعجّبيّ، ويترك الحكم بصحّتهما أو سقمهما، صوابهما أو بطلانهما على عهدة وجدان الإنسان الحيّ وفطرته النقية وعقله السليم.

فالعقل السليم من الهوى يدرك أنّ حلّ لغز هذا الوجود غير ممكن دون الاعتقاد بوجود خالق عالم قادر، أزلي وأبدي، فلنر ما أجمل وألطف بيان القرآن لهذا الأمر، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[1].

وقد يقول بعض إنّ هذا المحدث هو الطبيعة وبالتالي ليس من الضروري الاعتقاد بوجود الله تعالى، وقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام على هذا القول؛ فقد جاء في توحيد المفضّل بن عمر أنّه قال للإمام: يا مولاي إنّ قوماً يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة، فقال: «**سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق، فإنّ هذه صنعته؟ وإنْ زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، علم أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، وإنّ الذي سموه طبيعة هو سنّة في خلقه جارية على ما أجراها عليه**»[2].

دليل النظام

يُعتبر هذا الدليل من الأدلّة السهلة المتيسرة لكلّ البشر، ويعتمد هذا الدليل أيضاً على مقدّمتين:

الأولى: إنّ العالم منظم

---

(1) سورة الطور، الآيتان 35 و 36.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج3، ص67.

الثانية: إنّه لا بدّ لكلّ منظَّم من منظِّم

إستنتاج

إنّ العالم لا بدّ له من منظِّم

الدليل على أنَّ العالم منظَّم

ويُعتبر من الأمور المتّفق عليها بين العلماء، فلا أحد يقول إنّنا نعيش في عالم تعمّه الفوضى. وكلّ العلماء يدرسون أيّ ظاهرة في العالم لاستكشاف الحكمة والنظام المتقن الذي بنيت على أساسه. وإذا تأمّل الإنسان ذاته فسيجد نفسه محكوماً بنظام عجيب ودقيق، وكذلك إذا تأمّل في أيّ ظاهرة تحيط به، ونحن نستعرض مثالاً واحداً يبيّن هذه المسألة، مع أنّ الأمثلة على النظام لا تحصى من جسم الإنسان والنبات والحيوان والماء والسماء والأرض وغيرها الكثير.

الدماغ والعشرون مليون عصب

يحتوي الدماغ على «**ستّة ملايين خلية**» و«**عشرين مليون عصب**». يوجد في المادّة المخاطية الموجودة في لفائف المخيخ «**ستة ملايين طبقة، وكلّ طبقة تتألف من آلاف الرقائق الظاهرة، وكلّ رقيقة مركّبة من ملايين الموجودات الحيّة**».

يقول أحد أساتذة علم الأحياء بالنسبة للدماغ: «**إنّ لهذا العضو خواصّ وإمكانات مدهشة ولا تُصدَّق. والعلماء أدركوا عدّة خواصّ من خواصّه الفيزيائية والكيميائية، ولكنّ أغلب وظائفه ما زالت مجهولة حتّى الآن**».

الدماغ مسؤول عن جميع الحركات العضلية، وجميع الأعمال البدنية الأساس التي ترتبط بها الحياة، مثل التنفّس ودقّات القلب التي تحصل تحت سيطرته.

الدماغ هو مكان الذاكرة، الذي انتقشت فيه آلاف الآلاف من الصور الفكرية، التي

يستحضرها الإنسان في ذهنه في الأوقات اللازمة وعندما يريد، ولا يمكن إعطاء أيّ تفسير ماديّ لأعمال الدماغ، مثل حلّ المسائل، وربط الموضوعات ببعضها البعض. كما أنّه لا يمكن بيـان أيّ حالة من حـالات الدماغ مثل الذوق السليم، والتأثّر، الأمـل، صفاء الباطن وغيرها بواسطة القواعد العلمية.

إنّ إدراك الجمـال والإحساس بالحقائق المعنوية مثل الحـبّ، إدراك الذات وعلوّ الهمّة، جميعها هو من وظائف وشؤون قسم صغير من البروتوبلاسم الذي يسمّى الدماغ.

وهكذا لو تأمّل الإنسان في بقية أعضاء بدنه وترابطها بعضها مع بعض، وكذلك الحال لو تأمّـل الإنسان في الشمس والقمر والأرض والتراب والهواء والماء وغيرها، والتأثير المتبادل بينها بحيث إنّ وقوع أيّ خلل يؤدّي إلى خراب الكون وعدم إمكانية الحياة واستمرارها، أدرك أنّه لا بدّ لهذا كلّه من خالق ومدبّر عالم وقادر.

المقدّمة الثانية

الدليل على أنّ لكلّ منظَّم منظِّماً هو البداهة العقليّة والتي لا ينكرها عاقل، ولهذا أقرّ بها كثير من العلماء. يقول أحد العلماء الغربيّين:

... أنا كعالم أرى أنّ إنكار الصانع أمر غير منطقي، وأرى أنّ العقائد العلمية المبنية على فرضية عدم وجود الخالق هي مضرّة بالبشر.

هـل يصدّق أحـد وجود سبحة عن طريـق الصدفة؟ وهل يمكن أنْ يكتـب مثلاً رجل أمّي قصيـدة تضاهي المعلّقات السبـع؟ هل يمكن للعلل العشوائية التي لا تُعقل ولا تبصر أنْ تنتج نظامـاً بهـذه الدقّة. ولو سلّمنا جدلاً بوقـوع شيء عن طريق الصدفة فهـل يمكن أنْ يتمّ كلّ شيء عن طريق الصدفة؟

والجواب: إنّ البديهة تقول إنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

فكيف يمكن للعلل غير العاقلة وغير العالمة وغير الحيّة أنْ تملأ الكون علماً وحياة وقدرة ودقّة و... ؟

فالنتيجة التي نصل إليها أنّ الذي أوجد العالم هو موجود عالم قادر حيّ....

للمطالعة

دليل النظام

إذا تفكّـر المـرء في خلقته هو، على قدر طاقته وسعة علمـه، وفي الحواسّ الظاهرة التي صُنعت وفق المدركات والمحسوسات، فلكلّ مجموعة من المدركات التي توجد في هذا العالم قوّة مدركة بأدقّ ما تكون من الدقّة والترتيب المحيّرَين للعقول.

والأمور المعنوية التي لا تُدرك بالحواسّ الظاهرة، جعلت لها الحواسّ الباطنية لإدراكها. دع عنك علم الروح والقوى الروحية للنفس، واتّجه بنظرك إلى علم الأبدان وتشريحها وبنائها الطبيعي، وخصائص كلّ عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة. أنظر ما أغرب هذا النظام، وما أعجب هذا الترتيب! على الرغم من أن علم البشر لم يبلغ حتّى بعد مائة قرن إلى معرفة واحـد بالألف منه، والإعتـراف الصريح بأفصح لسان من جميع العلمـاء بعجزهم، مع أنّ جسـم هذا الإنسان بالنسبة إلى كائنـات الأرض الأخرى، لا يزيد على مجرّد ذرّة تافهة، وإنّ الأرضـ وجميع كائناتها لا تعدل شيئاً إزاء المنظومـة الشمسية، وإنّ كلّ منظومتنا الشمسية لا وزن لها إزاء المنظومات الشمسية الأخرى، وإنّ كلّ هذه المنظومات الكلية منها والجزئية مبنيـة وفـق ترتيب منظَّم ونظام مرتب بحيث إنّ أيَّ نقد لا يمكن أنْ يوجَّه إلى أتفه ذرّة فيها، وإنّ عقول البشر كافّة عاجزة عن فهم دقيقة من دقائقها.

فهـل بعد هـذا التفكر يحتاج عقلك إلى دليل آخر ليذعن بأنّ هنـاك موجوداً عالماً قادراً حكيمـاً، لا يشبـه الكائنات الأخرى بشيء، هو الـذي أوجد هذه الكائنات بـكلّ حكمة ونظام وترتيب واتقان؟ ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

الإمام الخميني قدس سره، الأربعون حديثاً، الحديث ١٢.

(1) سورة إبراهيم، الآية 10.

الدرس الرابع

التوحيد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يحدِّد معنى التوحيد وأهميته.

2 . يبرهن على التوحيد من خلال دليل النبوة.

3 . يستدل على التوحيد من خلال دليل وحدة النظام.

أهميّة التوحيد

التوحيد هو الأصل الأوّل من أصول الدين الإسلامي، وهو يعبّر عن حقيقة هذا الدين العظيم، وبدونه تفقد أركان الإسلام ومفاهيمه قيمتها. ذلك أنّ التوحيد يعطي كلّ المبادئ والقيم والأفكار والنظريات وحدة شاملة ويجعلها تدور حول محور الوجود المقدّس للباري عزّ وجلّ.

ففي العقيدة الإسلاميّة يشكّل مفهوم توحيد الخالق سبحانه الأساس المتين لكلّ الاعتقادات الأخرى. ولذلك فإنّ إنكاره يعود بالدرجة الأولى إلى عدم معرفة الله حقّ معرفته.

وعلى سبيل المثال: إنّ الذين تصوّروا أنّ لله شريكاً، قد وضعوا للخالق عزّ وجلّ حدوداً، والسبب في ذلك يرجع إلى عدم معرفتهم بالله حقّ المعرفة، ممّا أدّى إلى إنكارهم لله عزّ وجلّ من جهة، واعتبارهم من جهة أخرى من الكافرين.

وهكذا نجد أنّ معرفة الله سبحانه وتوحيده هي أصل الاعتقادات جميعها. فلو عرف الإنسان ربه لوحّده، ولو وحّده لآمن بأنبيائه ورسله الذين نهوه عن عبادة غيره سبحانه.

وكذا نجد أنّ جميع التعاليم السلوكية في الإسلام تقوم على أساس التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ. فالإخلاص شرط في قبول الأعمال الإلهيّة، وما لم يصبغ الإنسان حياته ومسلكه بصبغة الإخلاص فلن يكون سالكاً سبيل الله، وسيبقى متمرّغاً في أوحال الطبيعة والمادّة، ولن يخرج من سجن الأنانية.

والإخلاص لا يتحقّق إلّا بالسلوك التوحيدي، وإلى هذا يشير سيّد الموحدين عليه السلام في قوله: «**أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له**»[1].

---

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج 1، ص 14، شرح الشيخ محمد عبده، نشر دار الذخائر، مطبعة النهضة - قم، ط1، 1412م، باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام.

فالإخلاص هو أعلى مراتب التوحيد، وعلى المؤمن أنْ يصرف كلّ همّه لعبور هذه المراتب، ونفي الشرك وشوائبه عن نفسه وقلبه وعمله، لأنّ الشرك محبط للعمل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

وليعلم أنّ أسباب الشقاء والبلاء، ومنشأ كلّ المشاكل والتعاسات إنّما يعود إلى تعلّق القلب بغير الله سبحانه، وإلى طلب غير الحقّ جلّ وعلا.

وعليه، فالتوحيد هو عبور لوديان الظلام نحو رحاب النور المطلق حيث الحصن المنيع من عذاب الله عزّ وجلّ، فقد جاء في الحديث القدسي:

«**كلمة لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي**»[2].

ولا بدّ للدخول في مراتب التوحيد من أنْ يخطو المرء الخطوة الأولى، وهي تتمثّل بمعرفة التوحيد والاستدلال عليه.

دلالة النبوّة على التوحيد

في معرض كلامنا عن دلالة النبوّة على التوحيد نستعرض كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه:

«**واعلم يا بُنيّ أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله**»[3].

وهذا البرهان مبنيّ على أصالة الوحي، فلا يمكن للإنسان أنْ يقيم مثل هذا البرهان إلّا بعد الإيمان بصدق وحقانية الوحي الموجود. ومن جانب آخر فهو مبنيّ على معرفة الله بكرمه المطلق الذي لا نقص فيه، بحيث إنّه لا يمكن أنْ يكون هناك موجود فيه قابلية خاصّة ولا يفاض عليه من جانبه تعالى. وبالتالي فلا يمكن أنْ يوجد إنسان يمتلك قابلية الوحي ولا يوحى إليه من جانب الباري عزّ وجلّ.

---

(1) سورة الزمر، الآية 65.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 49، ص 127.

(3) الريشهري، محمّد، كتاب توحيد الله تعالى، ميزان الحكمة، ج3، ص 1894.

بناءً على ما تقدّم فإنّه من السذاجة بمكان أنْ يقال: إنّ الغرض من بعث الأنبياء وإرسال الرسل هو هداية الناس، فإذا تحقّقت الهداية ببعث أحدهم من قبل أحد الآلهة، حصل الاكتفاء بذلك، وسقط الأمر عن الآخرين،لأنّ ذلك يعني نفي الصفات الكمالية عن الآخر وبالتالي لا يمكن أنْ يكون إلهاً ولا يرسل رسلاً.

وبديهي أنّنا لم نعتمد في هذا البرهان على ما قاله الأنبياء، ولم نتعبّد بأحاديثهم وقولهم إنّ الله واحد.. بل قلنا بذلك لاعتقادنا بأنّ النبوّات ظواهر خاصّة ودلائل لما وراء الطبيعة، فلو كان هناك عامل آخر ما وراء الطبيعة غير الله الواحد لظهرت منه دلائل مشابهة ولأرسل رسله.

وحدة النظام دليل على التوحيد

إنّ أجزاء العالم يسيطر عليها نظام واحد، ولا يمكن أنْ تكون فيه موجودات مستقلّة ومنعزلة بعضها عن بعض. فانظروا إلى شجيرة الورد مثلاً، هل يمكن أن تبقى خضراء إذا لم تُمدّ بالماء؟ وهل يمكن أنْ توجد إذا لم توضع بذرتها في الأرض؟ إذاً، وجودها منوط بوجود الماء، وهي مرتبطة بالظاهرة المتقدّمة عليها وليست منعزلة عنها. وتستفيد هذه الوردة من الهواء المحيط بها، وهي بدورها تؤثّر في تعديل نسبة الغازات فيه بما تطرحه من الأوكسجين أو ثاني أوكسيد الكربون، إذاً، هي مرتبطة بالهواء المحيط بها وهو ليس مستقلاً عنها.

وكذلك الفرخ الذي خرج من البيضة، هل جاء إلى الوجود من دون أمّ؟ وهو أيضاً يتنفّس الهواء ويأكل الطعام ويؤثر في بيئته.

والأمر كذلك في الموجودات غير الحيّة، التي نلاحظ حصول الفعل والانفعالات الفيزيائية والكيميائية فيها.

فنحن إذا تأمّلنا في أيّة ظاهرة سوف نجد أنّها قد وُجدت نتيجة لما جرى في الظاهرة المتقدّمة عليها من فعل وانفعال، وهي بدورها تؤثّر في الظواهر المعاصرة لها، وتكون مادّة لوجود الظواهر اللاحقة لها. إنّ هذا النظام يسيطر على العالم كلّه، وهو نظام الارتباط والتفاعل، التأثير والتأثّر. وحتى فرض وجود الأنظمة الجزئية لا ينافي أنْ تكون جميعها

أعضاء في نظام كلّي يجعل كلّ ظواهر هذا العالم مشمولة بقانون التأثير والتأثّر.

فالعالم عالم متّصل ببعضه البعض ولا يوجد أيّ استقلال بين أجزائه بعضهاعن بعض.

والآن لو فرضنا لكلّ واحد من هذه الأنظمة الجزئية في عالمنا إلهاً خاصّاً، فهذا معناه أنّ جميع حاجات المخلوق فيه سوف تؤمّن بواسطة إلهه الخاصّ هذا، وأنّ هذا النظام الجزئي لا بدّ أنْ يكون مكتفياً ذاتياً، ولا يحتاج إلى آلهة غير إلهه الذي أوجده، لأنّ الإله هو الذي يكون وجود المخلوق بيده، وهو الذي يوفّر لمخلوقه حاجاته، وهذا هو مقتضى الغنى الذاتي، فالإله غنيّ في ذاته وفي فعله، فكما أنّه لا يحتاج لأحد في وجوده نفسه كذلك لا يحتاج إلى أحد في إيجاده لغيره، ولذلك يكون المخلوق محتاجاً له فقط، إذ لو احتاج المخلوق إلى غير إلهه فهذا يكشف عن حاجة الخالق وهو مناف للألوهية. وبهذا الفرض يكون عندنا عدة أنظمة كلّ واحد منها مكتف بذاته ولا يحتاج إلى ما سواه. فإذا كان لعالم الإنسان إله، ولعالم الحيوان إله آخر، ولعالم النبات إله ثالث... وهكذا.. فإنّه يلزم أنْ يكون مثلاً العالم الإنسانيّ محتاجاً فقط إلى إلهه وما تنتجه يداه، ويجب أنْ يكون مستغنياً عن الأنظمة الأخرى، فلا يستفيد من الهواء مثلاً الذي خلقه إله آخر... الخ.

وكلّ إنسان يرى أنّ العالم لا يسير بهذا النحو، بل إنّ أيّ موجود وأيّ نظام لا يمكن أنْ يوجد من دون ارتباط بالموجودات الأخرى، وحتّى إذا وُجد فإنّه لا يستطيع أنْ يستمرّ. لذلك لا بدّ من أنْ يستفيد الإنسان من الهواء والماء والنبات والحيوان، وإنْ لم يفعل فالموت ينتظره.

وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا... ﴾[1].

فاليد التي تسيّر العالم هي يد واحدة تربط جميع أجزائه بعضها ببعض وتديرها، ولو كانت هناك أيد مستقلة بحيث تريد كلّ واحدة منها أن تدير العالم كما هو مقتضى الربوبية لتبعثر هذا العالم وانفرط نظامه.

ولكنّنا نلاحظ أنّ هذا النظام الواحد هو نظام مستقرّ، والفساد فيه غير موجود. فيُعرف من هذا أنّ من بيده شؤون هذا العالم هو من يدبّره ويربط أجزاءه بعضها ببعض إنّما هو إله واحد، هو الذي أوجد هذا النظام الواحد.

(1) سورة الأنبياء، الآية 22.

للمطالعة

التربية التوحيدية

إنّ مـا يريـده الإسلام هـو أنْ ترتبط جميـع هذه العلوم سـواء العلوم الطبيعيـة أم غير الطبيعية بالعلوم الإلهيّة، وتمسك بزمامها، وترجع إلى التوحيد، أيّ أنْ يكون لكلّ علم جانب إلهـيّ، فيرى الإنسان اللّه عندما ينظر إلى الطبيعة ويرى اللّه عندما ينظر إلى المادّة، ويرى اللّه عندمـا ينظـر إلى سائر الكائنـات، فالإسلام جاء مـن أجل إعادة جميـع الكائنات في الطبيعة إلى الألوهية، وجميع العلوم الطبيعية إلى العلم الإلهيّ.

وهـذا المعنى مطلـوب من الجامعـات أيضاً، نعم لا بـدّ من وجود الطـبّ، ووجود العلوم الطبيعية، والعلاج البدنيّ، إلّا أنّ المهمّ هو مركز الثقل والذي هو التوحيد.

يجب أنْ تعود جميع هذه إلى جهة الألوهية، فالإسلام يستهدف في كلّ شيء ذلك الهدف الأسمـى، فهو لا ينظر إلـى الموجودات الطبيعية إلّا من خلال النظـر إلى المعنويات، وبتلك المرتبة العالية.

فلو نظرنا إلى الطبيعة فإنّه ينظر إليها على أنّها صورة عن الألوهية وأنّها موجة من عالم الغيب، ولو نظرنا إلى الإنسان، فإنّه يُنظر إليه بعنوان أنّه كائن يمكنه أن يكون كائناً إلهياً.

الإمام الخميني قدس سره، صحيفة النور، ج٨، ص٦.

الدرس الخامس

مراتب التوحيد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعـدّد مراتب التوحيد بدءً من التوحيد في وجوب الوجود وصولاً إلى التوحيد في الألوهية.

2 . يستنتـج آثـار مراتـب التوحيـد علـى تكامل روح الإنسان وسموّه.

3 . يحدّد نصاب التوحيد من خلال الآيات القرآنية.

مراتب التوحيد

قـد يتوهّم بعضـ أنّ التوحيد عبارة عـن الإيمان بالله الواحد وعـدم وجود شريك لله تعالى فقط، دون أنْ يلتفت إلى أنّ التوحيد يشمل أموراً أخرى، يُطلق عليها مراتب التوحيد وهي:

1. التوحيد في وجوب الوجود:

وتتحقّق هذه المرتبة من التوحيد في الاعتقاد بأنّ وجود الله تبارك وتعالى فقط ضروري بصورة ذاتية، وأمّا سائر الموجودات فوجودها مكتسَب منه، وهذا ما استُدِلّ عليه في الدرس السابق من خلال الأدلّة على توحيد الله تعالى.

2. التوحيد في الخالقية:

وتتحقّق هذه المرتبة في الاعتقاد بعدم وجود خالق سوى الله، وهي نتيجة طبيعية للمرتبة السابقة (وقد استُفيدت من دليل وحدة النظام).

3. التوحيد في الربوبية التكوينية:

الموحّـد بهذا المعنـى يُطلَق على من يعتقد بأنّ الله غير محتاج إلى أحد في تدبير العالم وإدارتـه، كمـا لم يكن محتاجاً إلى أحد في خلقه، وربوبيتـه التكوينيّة منحصرة به تعالى ولا يمكن لأيّ موجود أنْ يتصرّف في العالم إلّا بحول الله وقوّته، وهذا نتيجة طبيعية للإيمان بأنّ كلّ الموجودات خلقها الله تعالى ووجودها بيده.

4. التوحيد في الربوبية التشريعيّة:

ويعني أنّ ولاية الأمر والنهي هي لله تعالى؛ لأنّه هو الذي أوجد الإنسان ولا يحقّ لأحد غيره

تعالى وضع القوانين وإصدار الأوامر، فشرعية أيّ قانون تتوقّف على الإمضاء الإلهي، وليس لأيّ إنسان أنْ يضع قانوناً للناس، وليس له أنْ يأمر أو ينهى إلّا بإذن الله.

5. التوحيد في الألوهية:

وهناك مرحلة أخرى من مراتب التوحيد وهي «**التوحيد في الألوهية والمعبودية**»، أي ليس لدينا معبود سوى الله، وهذا أيضاً نتيجة طبيعية للمعتقدات السابقة، وهو مفاد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فعندما نعتقد بأنّ وجودنا من الله واختيار وجودنا بيده، ولا يؤثّر في العالم شيء بصورة مستقلّة إلّا هو، وحقّ وضع القوانين منحصر به، فإنّه لا يبقى حينئذٍ مجال لعبادة غيره. لأنّه - وبسبب ما ذكر- يكون هو المستحقّ للعبادة وحده.

وبالتالي أنْ نعبده هو فقط لأنّ العبادة - في الواقع - إظهار للعبودية، وجعل النفس تحت تصرّف المعبود المستحقّ للعبادة من دون شرط.

فهناك أمران: أحدهما يرجع إلى القلب، وهو الاعتقاد بأنّ الله تعالى هو اللائق والمستحقّ للعبادة وحده، وثانيهما يعود إلى العمل، وهو أنْ لا يعبد عملياً غير الله سبحانه، والثاني من مظاهر الأوّل ويسمّى بـ«**التوحيد في العبادة**».

والآيات تعتبر الشرك في العبادة من الذنوب الكبيرة، ومعنى الشرك أنْ يقوم الإنسان بعبادة غير الله في مقام العمل، حتّى ولو لم يكن معتقداً بأهليته للعبادة، ولكنه يقوم بهذا الأمر من أجل مصالحه، هذا هو الشرك في العبادة ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[1]. ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

ومن آثار ونتائج مراتب التوحيد التي ذُكرت هي أنْ لا يستعين الإنسان المؤمن بشكل مستقلّ إلّا بالله تعالى كما قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3]، ولا يخاف المؤمن إلّا من الله كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا

(1) سورة الفرقان، الآية 43.
(2) سورة الجاثية، الآية 23.
(3) سورة الفاتحة، الآية 5.

﴿ٱللَّهُ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1] ويبقى أمله منحصراً بالله، ولا يحبّ أصالة واستقلالاً إلّا الله تعالى لأنّ الكمال والجمال أصالة لله، وأمّا غيره تعالى فكماله وجماله مستمدّ منه تعالى.

نصاب التوحيد

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، وتأمّلنا فيه واستفتيناه عن النصاب اللازم ليصبح الإنسان موحّداً فسيكون الجواب: إنّ الموحّد من وجهة نظر القرآن هو كلّ من يعترف بأنّ واجب الوجود منحصر بالله، وهو تعالى وحده الخالق والربّ التكويني والربّ التشريعي والإله المعبود، ولمّا كان الاعتقاد بالإلوهية واقعاً في الأخير لذا أصبح شعار الإسلام ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أيّ لا معبود بحقّ إلّا الله، وهي المرتبة الخامسة، أي إذا تمّ لنا الاعتقاد بالألوهية فمن المؤكّد أنّ ما قبله تامّ وهو من باب «**إذا حصلنا على المائة فالتسعون قطعاً في أيدينا**».

إذاً، نصاب التوحيد في القرآن هو الاعتقاد بهذه الأمور مجتمعةً ومنتهية بالتوحيد في الألوهية.

وباقي المراتب تعبّر عن كمال التوحيد والترقّي في درجاته.

(1) سورة الأحزاب، الآية 39.

للمطالعة

مراتب التوحيد

إنّ أساس جميع تلك الاعتقادات وأهمّ وأغلى عقائدها هو أصل التوحيد، وطبقاً لهذا المبدأ فإنّنا نعتقد بأنّ الذات الإلهيّة المقدّسة وحدها هي التي خلقت هذا العالم وكلّ عوالم الوجود والإنسان، وأنّها مطلعة على جميع الحقائق، وقادرة على كلّ شيء، ومالكة لكلّ شيء، ويعلّمنا هذا المبدأ أنّه يجب على الإنسان أنْ يخضع للذات الإلهيّة الحقّة فقط، وأنْ لا يطيع أيّ إنسان إلّا أنْ تكون طاعته طاعة للخالق.

وطبقاً لهذا الأساس فلا يحقّ لأيّ إنسان أيضاً أنْ يفرض على الآخرين أنْ يخضعوا له، وإنّنا نتعلّم من هذا الأصل العقائدي مبدأ حريّة الناس، وأنّه لا يحقّ لأيّ إنسان أنْ يسلب حريّة إنسان آخر أو مجتمع معيّن، فيضع له القانون، وينظّم علاقاته وسلوكه بموجب علمه وإدراكه الناقص جداً، أو ميوله ورغباته. وإنّنا نعتقد انطلاقاً من هذا المبدأ، أنّ وضع القوانين من أجل التكامل هو من صلاحية الخالق جلّ وعلا، كما كانت قوانين الوجود والخلق من وضعه عزّ وجلّ، ولا يصل الإنسان ولا المجتمعات إلى السعادة والكمال إلّا في ظلّ إطاعة القوانين الإلهيّة التي بلّغنا إيّاها الأنبياء عليهم السلام.

وإنّ انحطاط الإنسان وسقوطه إنّما هو بسبب سلب الحريّة منه لسائر الناس، لذا يجب على الإنسان أنْ يثور ضدّ سلاسل وقيود الأسر هذه، ويقف بوجه الآخرين الذين يدعونه إلى الأسر، ويحرّر نفسه ومجتمعه حتّى يكون الجميع عباداً لله وخاضعين له، ولهذا السبب تنطلق قراراتنا الاجتماعية ضدّ قوى الاستبداد والاستعمار. وأيضاً فإنّنا نستلهم من مبدأ التوحيد الاعتقادي هذا أنّ جميع الناس متساوون أمام الخالق، فهو خالقهم جميعاً والجميع عبيد له.

الإمام الخميني قدس سره، صحيفة النور، ج٤، ص١٦٦.

الدرس السادس

المعيار الفاصل بين التوحيد والشرك

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يحـدّد المعيار الفاصل بيـن التوحيد والشرك بالله (عز وجل).
2. يفرِّق بين الولاية التكوينية والولاية التشريعيّة.
3. يستنتـج أن الاعتقـاد بالولايـة التشريعيـة للنبي والأئمة (صلوات الله عليهم) من شؤون التوحيد.

تمهيد

مـن الأمور التي ينبغي التوقّف عندها هو المقصـود الحقيقي من التوحيد، فهل التوحيد يعني إنكار أيّ تأثير لكلّ موجود سوى الله؟ وإذا قلنا بتأثير لموجود ما فهل نصبح مشركين؟ أم أنّ المقصود من التوحيد شيء آخر؟.

عندما نرجع إلى القرآن نستفتيه نجد أنّه ينسب حتّى الخلق والتدبير وإحياء الموتى لغير الله، ولكنّهـا جميعـاً متوقّفة على إذنه تعالى، وهذا ما صرّحت بـه الآيات الواردة بحقّ النبي عيسى عليه السلام، وقد نُسب إليه بعض هذه الأمور منها: الخلق، يقول الله تعالى:

﴿.. وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2].

فالقـرآن يصـرّح بـأنّ نبـي الله عيسـى عليه السلام يخلـق: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[3]، وهـو يحيي الموتى ويشفـي المرضى مع أنّه كان عبداً من عباد الله، وهذا الأمر هـو الذي دفـع بعض أتباعه للغلـوّ فيه واعتباره ابـن الله، بل قالوا عنه: إنّه هـو الله بنفسه. والقـرآن الكريـم يقاوم هذه العقيدة مقاومـة شديدة حيث يؤكّد علـى التوحيد بقوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[4].

---

(1) سورة المائدة، الآية 110.
(2) سورة آل عمران، الآية 49.
(3) سورة المائدة، الآية 110.
(4) سورة الحج، الآية 34.

وينهى عن التثليث بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[1].

ويعتبره كفراً بقوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2].

وفي نفس الوقت فهو يثبت ويؤكّد أنّ عيسى عليه السلام كان يؤدّي مثل هذه الأعمال، ولكنّه تعالى يضيف في كلّ جملة كلمة «**بإذني**»، ولا يكتفي بإضافتها في آخر الآية، وهذا يعني أنّ الاعتقاد بصدور مثل هذه الأمور من الإنسان أو من أيّ مخلوق آخر لا يؤدّي إلى الشرك، ما لم يعتقد بأنّ المخلوق يقوم بهذه الأعمال «**مستقلاً**» غير محتاج فيها إلى إذن من الله، وأمّا إذا اعتقد بأنّ الله سبحانه هو الذي يمنح المخلوق مثل هذه القدرة، بحيث يستطيع التصرّف في العالم الطبيعي ويوجد بعض الظواهر عن غير طريق القوانين الطبيعية فإنّ هذا الاعتقاد ليس شركاً بل هو عين التوحيد، وحتّى أنّ إنكاره يصبح إنكاراً للقرآن ولرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وللتوحيد بمعناه الكامل.

الولاية التكوينية

بعدما أثبتنا إمكانية صدور إحياء الموتى وشفاء المرضى - بل أثبتنا وقوعها- من غير الله، ولكن بإذن الله، وهو ما نسمّيه في عرفنا بـ «**الولاية التكوينية**»، نواجه هذا السؤال:

هل للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الطاهرين عليهم السلام ولاية تكوينيّة أم لا؟

ظنّ بعض أهل السنة أنّ مثل هذا الاعتقاد شرك بالله، فإذا اعتقد شخص بأنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولاية تكوينيّة بمعنى أنّه يستطيع إحياء الموتى أو شفاء المرضى فقد أشرك بالله، لأنّ هذه الأمور من شأن الله فقط. وتعدّ هذه الفئة سائر الطوائف الإسلاميّة التي تشكّل أكثر من 95% من المسلمين تعدّها مشركة، ومن جملتها الشيعة الذين يعتقدون بالولاية التكوينيّة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(1) سورة النساء، الآية 171.

(2) سورة المائدة، الآيتان 17 و72.

وتعـود هـذه الاتّهامـات في الواقـع إلى الجهل (هـذا إذا لم تكـن مغرضـة وذات دوافع سياسيـة)، فمن يقرأ القرآن ويفهم هذه الآيـات... كيف يسمح لنفسه بأنْ يعدّ هذه العقائد من الشرك؟

إنّ القـرآن نفسه يقول: كان عيسى عليه السلام يخلق ويحيي الموتـى ويشفي المرضى، فكيف يصبح هذا القول شركاً؟!

وقـد يخـرج بعض ليقول: إنّ مـا ذُكر في القرآن لا يكون شـركاً وأمّا الذي لم ينصّ عليه القرآن فيكون شركاً.

وهذا القول واضح البطلان؛ لأنّ أيّ مفهوم إذا كان شركاً فهو شرك وإن لم يذكره القرآن. فلـو فرضنـا ـ وفرض المحال ليس محـالاً ـ أنّ القرآن قال: يوجد إلهـان أو أنّ هناك خالقين للعالم، أيصبح هذا توحيداً؟!

وهل حقيقة التوحيد يمكن تغييرها بالقول والكلام؟

فالأمـر إنْ كان شـركاً يبقى كما هو سـواءً أذكر ذلك القرآن أم لم يذكـره – بل نقول إنّه يستحيل أنْ يذكره القرآن – وما يكون توحيداً يظلّ توحيداً تعرّض له القرآن أم لم يتعرّض له.

فكيف يصحّ لنا أنْ ندّعي أنّه ما دام القرآن يقول لعيسى عليه السلام: أنت تخلق وتحيي الموتى وتشفـي المرضـى فهذا «**توحيد**»، لكنّه في الوقت الذي لم يقل فيـه ذلك لغيره يكون شركاً؟ وهل يعقل أنْ يكون الشيء نفسه شركاً وغير شرك من دون أن يحدث فيه أيّ تغير؟

الولاية التشريعيّة

ونظيـر هذا يقال بالنسبة للربوبيـة التشريعيّة، يعني عندما نقول: لا يحقّ لأحد سوى الله تعالـى وضع القوانين وإصدار الأوامـر والطاعة من دون سؤال، فليس معنى هذا أنّنا لا يجوز لنـا أنْ نطيـع أيّ أحد آخر بأيّ شكل مـن الأشكال، أو لا يحقّ لأيّ أحـد إصدار الأوامر، كلّا، ليس هذا معناه، بل المقصود هنا أيضاً أنّ أيّ شخص لا يحقّ له أنْ يصدر الأوامر «**مستقلاً**» مـن ذات نفسـه، إلّا إذا كان الله تعالى قد منحه هذا الحقّ، وتعود الطاعة لهذا الشخص في الواقـع إلى طاعـة الله، وجاء في القرآن الكريـم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾[1].

(1) سورة النساء، الآية 64.

إذاً، فالطاعة التي تكون بإذن الله لا تتنافى مع التوحيد، بل هي من شؤون التوحيد. أمّا ما يتنافى مع الربوبية التشريعيّة فهو الاعتقاد بأنّ لأحد غير الله وفي عرضه حقّ التقنين، حيث يضع القوانين من دون اعتماد عليه تعالى، وتكون طاعته واجبة مثل طاعة الله. هذا شرك لا شكّ فيه. أمّا إذا قال أحد بأنّ الله سبحانه قد عيّن أشخاصاً لهم الحقّ في التدخّل في شؤون الناس، يسوسون أمورهم، يأمرون وينهون، وتجب على الناس الطاعة لهم، فهو ليس بشرك.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1].

فهو يأمر بطاعة الرسول، ولا يكتفي بهذا الحدّ بل يوجب طاعة خلفاء الرسول من المعصومين: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

وحسب ما نقل من تفسير عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّ «**أولي الأمر**» هم المعصومون الاثنا عشر عليهم السلام، ومن الطبيعيّ أنْ تكون طاعة الرسول وأولي الأمر شاملة للمنصوبين من قبل النبيّ أو الإمام بصورة خاصّة أو بشكل عامّ. عندما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يبعث والياً إلى منطقة معينة فإنّه كان يجب على الناس طاعة هذا الوالي، لأنّها في الحقيقة طاعة للنبيّ صلى الله عليه وآله. وكذا الطاعة للولي الفقيه المنصوب من قبل الإمام المهديّ عجل الله فرجه لتسيير شؤون الناس في عصر الغيبة، وهذه في الواقع طاعة لإمام العصر التي هي طاعة لله: «**فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجّة الله**»[3].

إذاً، الاعتقاد بالولاية التشريعيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ومن ينصبه هذان، ومن جملتهم الفقهاء الكبار في عصر غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، ليس فقط لا يتنافى مع التوحيد، بل هو من شؤون التوحيد، وهذا يعني أنّ الطاعة لله عزّ وجلّ تشمل الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه تعالى هو الذي أمر بطاعة الرسول، وهكذا... حتّى نصل إلى الفقهاء.

---

(1) سورة النساء، الآية 59 ـ سورة محمّد، الآية 33.
(2) سورة النساء، الآية 59.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص90.

للمطالعة

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1].

المراد بالكتاب الذي هو مبدأ هذا العلم العجيب إمّا جنس الكتب السماوية أو اللوح المحفوظ، والعلم الذي أخذه هذا العالم منه كان علماً يسهل له الوصول إلى هذه البغية. وقد ذكر المفسّرون أنّه كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب،...وقد تقدّم أنّ من المحال أنْ يكون الاسم الأعظم الذي له التصرّف في كلّ شيء من قبيل الألفاظ ولا المفاهيم التي تدلّ عليها وتكشف عنها الألفاظ.... هذا العلم لم يكن من نسخ العلوم الفكرية التي تقبل الاكتساب والتعلّم.

السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٥، ص٣٦٣.

(1) سورة النمل، الآية 40.

الدرس السابع

الصفات الإلهيّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح الصفات الإلهية الثبوتية والسلبية.

2 . يميّز بين قسمي الصفات الثبوتية الذاتية والفعلية.

3 . يستدل على صفتي القدرة الإلهية والعلم الإلهي، والمعنى الحقيقي للبداء.

صفات اللّه تعالى على نوعين: صفات سلبية وصفات ثبوتية.

الصفات السلبية

وهي التي يتنزّه عنها الله تعالى لأنّها نقص، فيجب سلبها عنه تعالى لما فيها من نقص يجلّ عنه تعالى كالجسمية وغيرها، فالعقل يدرك أنّه يستحيل اتّصاف الله بالجسمية، لأنّه لو كان لله جسم يلزم منه لازمان باطلان:

1. أنّه مركّب والمركّب يحتاج إلى أجزائه والحاجة فقر - وهو نقص - والله هو الغنيّ المطلق.
2. لاحتاج إلى مكان والحاجة فقر وهو الغني المطلق.

ومما يدلّ على نفي الجسمية عنه تعالى في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

فلو كان لله جسم للزم وجود المثل والشبيه له تعالى وقد نفته الآية.

إلا أنّ بعضٌ قد توهّم أنّ لله تعالى جسماً واستدلّوا على وهمهم هذا بآيات قرآنية كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[3].

مع أنّ هذا النحو من الآيات يجب أنْ يفسّر على أساس لا يتعارض مع الدليل العقليّ القطعيّ، الذي تقدَّم ومع الآية المحكَمة التي سبقت وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

(1) سورة الشورى، الآية 11.
(2) سورة المائدة، الآية 64.
(3) سورة الإنسان، الآية 9.

شَيۡءٞ﴾[1]. من هنا فُسّرت اليدان بالنعمة والمراد نعم الدنيا والآخرة أو بالقوّة والقدرة.

أمـا الوجه في الآيـة السابقة ففسّر بثواب الله، أيّ إنّما نطعمكـم لأجل الثواب الإلهي، أو بمعنـى ذات الله. وقـد تعارف واشتهـر استعمال هذه الكلمات بهـذه المعاني غير المعارضة للعقـل والقرآن عند العرف وأهل البلاغة فيقولون «**فلان لسـانه طويل**» ويقصدون أنّه كثير الكلام لا أنّ لسانه طويل حقيقة.

الصفات الثبوتية

وهـي صفات لا تستلزم نقصاً بل فيها إثبات كمال وجمال لله تعالى. وهي نوعان: صفات ذاتية وصفات فعلية.

الصـفات الذاتية: وهي الصفات المنتزَعة من الذات الإلهيّة فلا يصحّ سلبها عن الله تعالى مثل الحياة والقدرة والعلم.

توضيح بعض الصفات الذاتية

القـدرة: نحن نعتقد أنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء، لكنّ الشيء الذي تتعلّق به القدرة لا بـدّ مـن أنْ يكون فيه القابلية للتحقّـق، أيّ يكون ممكن التحقّق، وعليـه فالشيء المحال لا تتعلّق به القدرة الإلهيّة، فيكون العجز في القابل وليس في الفاعل.

سُئـل أمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربّك أنْ يُدخـل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيـا أو تكبـر البيضة؟ فقـال عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى لا يُنسـب إلـى العجز والذي سألتني لا يكون**»[2].

العلـم: ونحـن نعتقـد أنّ الله تعالى عالم بكلّ شـيء قبل أنْ يوجد وأثنـاء وجوده وبعده، ويكفـي كدليـل على علم الله، وكـذا قدرته وجود العلم والقدرة بيـن المخلوقات، فلا بدّ من وجودهما في الخالق وبمرتبة أكمل لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

---

(1) سورة الشورى، الآية 11.

(2) الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة، ج3، ص1916.

البداء: ممّا تقدّم نعلم أنّ البداء المطروح في أحاديث أهل البيت عليهم السلام لا يعني أنّ الله تعالى يظهر له شيء لم يكن يعلمه سابقاً فيغير إرادته على ضوء علمه الجديد، والعياذ بالله تعالى، فقد حارب أهل البيت عليهم السلام هذا المعنى بشّدة فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من زعم أنّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم**»[1].

بل المراد من البداء هو أنّ الله تعالى منح الإنسان فرصة تغيير مصيره بالعمل الصالح أو الطالح كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**الصدقة تدفع ميتة السوء**»[2]، وعن الصادق عليه السلام: «**إنّ الدعاء يردّ القضاء**»[3].

لذا فالقول بالبداء يبعث الرجاء في قلوب المؤمنين، بخلاف الاعتقاد بأنّ قلم التقدير جفّ ولم يعد بمقدور الإنسان تغيير المصير المحتوم، من هنا يبيّن أهل البيت عليهم السلام قيمة البداء وأهمّيته كقولهم: «**ما عبد الله عزّ وجلّ بشيء مثل البداء**» أو «**ما عظم الله بمثل البداء**»[4].

الصفات الفعلية: وهي الصفات التي تنتزع من نوع ارتباط بين الله تعالى ومخلوقاته، لذا فيصحّ سلبها عن الله تعالى مثل الخالقية والرازقية والإحياء والإماتة، فيصحّ القول: «**الله لم يخلق أباً لعيسى بن مريم ولم يرزق فلاناً ولم يحيِ الميت الفلانيّ**» وهكذا.

---

(1) الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص41.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج4، ص2.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج70، ص349.
(4) الحسيني اليزدي الفيروز آبادي، السيد مرتضى، عناية ألأصول في شرح كفاية الأصول، ج2، ص340.

للمطالعة

«**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**». والمراد من «**أسماء الله الحسنى**» هي صفات الله المختلفة التي هي حسنى جميعاً، فنحن نعرف أنّ الله عالم قادر رازق عادل جواد كريم رحيم، كما أنّ له صفات أخرى حسنى من هذا القبيل أيضاً. فالمراد من دعاء الله بأسمائه الحسنى، ليس هو ذكر هذه الألفاظ وجريانها على اللسان فحسب، كأن نقول مثلاً: يا عالم يا قادر يا أرحم الراحمين. بل ينبغي أن نتمثّل هذه الصفات في وجودنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وأنْ يشعّ إشراق من علمه وشعاع من قدرته وجانب من رحمته الواسعة فينا وفي مجتمعنا. وبتعبير آخر: ينبغي أنْ نتّصف بصفاته ونتخلّق بأخلاقه، لنستطيع بهذا الشعاع، شعاع العلم والقدرة والرحمة والعدل، أنْ نخرج أنفسنا ومجتمعنا الذي نعيش فيه من سلك أهل النار...

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٥، ص٣٠٣.

الدرس الثامن

العدل الإلهي

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يحدِّد معنى العدل وأهميته.

2 . يستدل على العدل الإلهي ويدفع بعض الإشكالات الواردة حوله.

3 . يبيِّـن حقيقة السعادة والشقـاء على ضوء الآيات القرآنية.

أهمّية العدل

إنّ للاعتقاد بعدالة الله تعالى مكانة خاصّة في ذهن الشيعة من زمن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأهمّية أكبر من سائر الأصول الاعتقادية ما عدا «**التوحيد**»، وكانوا يعتبرون أنّ أهمّية العدل مساوية للتوحيد، وأنّ هذين الأصلين هما من أكثر أركان الإسلام حساسية، والسرّ في ذلك هو أنّ أيّ خلل في الإيمان بالعدل يؤدي إلى خلل في التوحيد.

معنى العدل

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**العدل يضع الأمور مواضعها**»[1]. فكلّ شيء في هذا الكون وكلّ ما أنزل الله تعالى من تشريع لهداية البشر وُضع في موضعه المناسب، ويشهد بذلك هذا النظام المتقن العجيب المسيطر على كلّ أرجاء الكون الذي أدهش العقول وحيّر الألباب، كما تشهد بذلك الشرائع الإلهيّة الكاملة التي لو طبّقها البشر لبلغت بهم قمّة الكمال والسعادة.

الدليل على العدل

بما أنّ الظلم - بمعنى وضع الأمور في غير مواضعها - من أبرز الأمور القبيحة، وبما أنّ فعل القبيح وصدوره عنه تعالى مستحيل، لأنّ القبائح وعلى رأسها الظلم لا يصدر إلّا عن جاهل أو محتاج أو ضعيف، فإذا تنزّه موجود ما عن هذه الأسباب للظلم فلا يصدر عنه ظلم، فكيف بالله تعالى وهو العالم المطلق، فلا يُحتمل بحقّه جهل والغنيّ المطلق فلا يُتصوّر بحقّه حاجة وفقر والقويّ المطلق فلا يُتوهّم بحقّه ضعف وعجز؛ وعليه يستحيل

(1) الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج4، ص102.

صــدور الظلم عنه تعالى لانتفاء أسبابه. وقد أكّد القرآن الكريم على أنّ الله تعالى منزّه عن الظلم، ونزّه ساحته عن الجور في الكثير من الآيات، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

بعض الإشكالات حول العدل الإلهي

مــن المسائل التي كانت محطّ الانتباه والتساؤل منذ القدم هي: أنّه إذا كان الله سبحانه وتعالى عادلاً ولا يظلم أحداً، فمن هو خالق المنغّصات والشرور والمشكلات في العالم؟

ولمــاذا خُلــق الموت والجهل والضعــف، والفقر والحرمان، والطوفــان والسيل والزلزال، والظلــم والتمييــز، وعوامل الانحراف والضلالة؟ ولماذا يجــب أن يوجد في العالم أشخاص ظلمة؟ ثمّ لماذا لا يمنع الله عزّ وجلّ هذه الأمور؟

أليس كلّ هذا من باب وضع الأمور في غير مواضعها؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء هذا الخلل؟

الجواب: للوصول إلى جواب شاف، لا بدّ لنا بداية وقبل أيّ شيء آخر، من معرفة ملاك تشخيص الخير والشرّ، والذي تُحلّ بمعرفته كثير من مسائل الشرور.

والمشكلــة تكمن في الواقع حيــث يرى معظم الناس أنّ الملاك فــي كثير من الموارد هو تشخيص العقــل السطحيّ الابتدائيّ، فإنّنا نرى الكثير من الأمــور تظهر بالنظرة الابتدائية شــرّاً، وبعد الانتباه والتحقيق بآثارها وخصوصيّاتها ندرك أنّها خير. فعندما يتعمّق الإنسان فــي نظرته للأمور يكتشف أنّ الكثير من الأمــور التي كان يعتبرها شرّاً هي في الحقيقة خير ولمصلحــة الكون، وحال النظــرة السطحية حال من يرتدي نظّارة سوداء فسوف يرى العالم كلّه مظلماً، وهذا ناتج عن الجهل بالحكمة من وجودها، ولمزيد من البيان لا بدّ من الإشارة إلى جملة مسائل:

أوّلاً: قياس الشيء على المصلحة الشخصية: إنّ الكثير من الناس يحكمون على أمر أنّه خيــر أو شرّ بالنسبة إليهم، فبعض عندما نسأله عــن الأمور التي يعتبرها شرّاً يقول: الأفاعــي والعقارب والزلازل والبراكين. إنّ مثل هــذا الجواب يمثل نوعاً من البساطة في التفكير، فالأمور التي تُعتبر مكملة لنظام الكون تصبح بالنظرة السطحية والقياس علــى المصلحة الشخصية معاكسة للنظــام، فالأفاعي والعقارب تمتصّ السموم من

الهـواء، والبراكيـن وسيلـة لتنفّس الأرض، فلـو كان العالم دون براكيـن لكان نظامه ناقصاً.

ثانياً: النظرة الاستقلالية لبعض الأمور: أحياناً ينظر بعض إلى الأمور نظرة استقلالية وليـس كجزء مـن مجموعة متكاملة، فبالنظـرة الأولى تُعتبر شـراً، ولكن في النظرة الثانيـة تُعتبـر خيراً، فمثلاً لـو نظرنا إلى جرّافـة تهدم أبنية وتخـرّب طرقات نظرة مستقلّـة منفصلة عن الحكمة والهدف، سنجد فيهـا ضرراً وشرّاً لما تسبّبه من غبار وأصـوات مزعجة لمن يحيط بها، أمّا لو نظرنا إليها بمـا أنّها مقدّمة لبناء مستشفى وبناء بنى تحتية للمدينـة وما تحتاجه، فالنظرة حينئذ مختلفة والحكم عليها كذلك، وذلك للخير الكثير المترتّب عليها.

حقيقة السعادة والشقاء

لقـد تحدّث القرآن الكريم في عدد من الآيات عن جملة من الموارد التي فيها الخلط في الحكـم على المسائل بكونها خيـراً أو شرّاً، وتكون الحكمة في خيريّتهـا أو شرّيتها ارتباطها بالسعادة والشقاء.

قـال تعالـى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

وقـال تعالـى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3].

وفـي جميـع هذه الآيـات وصـف المولى عـزّ وجـلّ مصاعب الحـرب والشهـادة والقتل -الموصوف بكونه شرّاً عند العقل الابتدائي السطحي - وصفه بكونه خيراً، وبيّن قانوناً كليّاً وهو أنّ ملاك شرّية الأشياء أو خيريّتها ليست موافقتها للرغبات والميول والسعادة المؤقّتة، وكذلـك جاء عكس مـا ذكرناه في القرآن أيضاً، حيث يحكم العقـل الابتدائي على شيء بأنّه

(1) سورة البقرة، الآية 216.
(2) سورة النساء، الآية 19.
(3) سورة آل عمران، الآية 157.

خيـر وسعـادة ويكون في الواقع شرّاً وشقاء، فالمال مثلاً يـراه الإنسان خيراً لكن المولى عزّ وجلّ يعتبر المال - عند سوء الاستفادة منه - شرّاً وسبباً لسوء العاقبة.

قـال تعالـى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾[2].

وعليـه فأحـد الأمور التي يجب على العقـل أنْ يأخذها بعين الاعتبـار عند حكمه بخيريّة شيء أو شرّيته، هو كون السعادة والشقاء (المترتبة عليه) دائمين أو غير دائمين، فالسعادة المؤقّتـة مع الشقاء الدائم ليست خيراً والشقاء المؤقّـت المصحوب بالسعادة الدائمة ليس شرّاً.

ولهذا يقول الإمام علي عليه السلام: «**ما خير بخير بعده النار، وما شرٌّ بشرٍّ بعده الجنّة وكلّ نعيم دون الجنّة محقور، وكلّ بلاء دون النار عافية**»[3].

إذاً، فالخطـوة الأولى هـي أنْ لا يُنظر إلى الأمور نظرة سطحيـة، وعندها سيُحلّ الكثير من الإشكالات وسيجد المتأمّل أنّ كثيراً ممّا يعتقد أنّه شرٌّ ليس في الحقيقة والواقع كذلك. وتبقـى جملة مـن الشرور والمصائب والابتلاءات هي كذلك واقعاً، إلّا أنّه ينبغي الكلام حول سبـب البـلاء، وحول الفائدة والحكمة منه وهـذا ما سيُبحث في الدرس التالي إنْ شاء الله تعالى.

(1) سورة آل عمران، الآية 180.
(2) سورة التوبة، الآية 55.
(3) الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج4، ص92.

للمطالعة

نحن قد عرفنا الله عليماً حكيماً غنيّاً كاملاً عادلاً جواداً، ولمّا كان كذلك فكلّ ما يقع منه فهو مبنيّ على أساس الحكمة والمصلحة مهما كنّا جاهلين بتلك الحكمة وهذه المصلحة... فالإنسان بعد أنْ رأى كلّ هذه الحكمة وهذا التدبير في نظام الوجود، ممّا جعل عقله حائراً لا بدّ أن يعترف أنّ هناك حكمة في الأشياء المجهولة لديه، وأنّ القصور والنقصان من إدراكه هو وليس في الخلقة...[1].

...يسأل الكثير صارخين بأعلى الأصوات:

لماذا لا يمنح الله العزّة للمسلمين؟!

لماذا لا يجعل القوانين الطبيعية جارية لصالح المسلمين؟!

ونحن نغضب ونثور ونطلق الحسرات ويهرب النوم من أعيننا ونعاني وتضيق بنا الحياة وندعو ونستغيث ولكن لا يستجاب لنا.

والقرآن يجيبنا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

فالله لا يغيّر قوانينه بل لا بدّ أن نغيِّر نحن ما بأنفسنا.. إنّنا غارقون في الجهالة، متورّطون في فساد الأخلاق نابذون للوحدة والاتفاق، ومع هذا كلّه فنحن نريد من الله أن ينصرنا ويعيننا...

إنّ هذا لمستحيل!.

الشهيد مطهري قدس سره، العدل الإلهي، ص١١٦.١١٧.

(1) الشهيد مطهري، العدل الإلهي، ص142.

(2) سورة الرعد، الآية 11.

الدرس التاسع

البلاء

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يفسر أسباب البلاءات الفردية والاجتماعية.

2 . يعطي شواهد قرآنية وروائية حول أسباب البلاء.

3 . يبيّن الحكمة من البلاء وأثره على بعدي الإنسان: الروحي والجسماني.

إنّ البلاء – وبغضّ النظر عن أسبابه – ينظر إليه الناس بشكل عامّ على أنّه شرّ، فهل هو كذلك أم أنّ الحقيقة غير ذلك؟ إلّا أنّ للبلاء فوائد وآثاراً وحكماً ينبغي الإشارة إليها.

سبب البلاء

إنّ جميع المصائب الفردية والاجتماعية التي تصيب البشر:

إمّا أن تكون وليدة سوء الاستفادة من الحريّة وسوء الاختيار، فيبتلي نفسه:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿... وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ...﴾[2].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[3].

ولكن عندما يستفيد الإنسان من حريّته استفادة سيّئة، فإنّ هذه الاستفادة السيّئة ستؤدّي على أساس القوانين الموجودة على متن عالم الخلق، وعلى أساس السنّة التي لا تقبل التغيير، إلى ظهور مصائب مختلفة للشخص العامل بل للمجتمع، وهي بنظر القرآن الكريم عقاب على عملهم. يجب الانتباه طبعاً إلى أنّ هذا العقاب ليس جعلياً واعتبارياً، بل هو عقاب تكوينيّ وواقعيّ له ارتباط علّيّ معلولّي بعمل المجرم السيّئ.

فقد كان هناك وعلى مدى التاريخ أقوام وأمم مختلفة، أصابها الزلزال والطوفان وأنواع البلاء المختلفة الأخرى، ولكنّ القرآن يرى أنّ جميع هذه المصائب ترتبط بالعمل السيّئ والظلم والجرائم والاستفادة السيّئة من الحريّة.

---

(1) سورة الشورى، الآية 30.

(2) سورة النساء، الآية 79.

(3) سورة الأعراف، الآية 96.

جـاء في سورة العنكبـوت بعد نقل قصّة قوم نوح وإبراهيم ولـوط ووقوف قوم عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان في مقابل أنبياء الله سبحانه واستكبارهم عن قبول الحق:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وجـاء فـي سورة هـود، بعد بيـان كيفية هلاك عـدد من الأمـم المستكبرة فـي التاريخ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[2].

وقـال تعالـى فـي سـورة التوبـة: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**وأيم الله ما كان قوم قطّ في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها، لأنّ الله ليس بظلّام للعبيد**»[4].

وإمّـا أنْ تكون نتيجة لعوامل طبيعية خاضعة لنظام العلّية والمعلولية العامّ، كما لو حصل انهيـار أو خسـف أو زلـزال أو غير ذلك، فأعقـب مصائب وابتلاءات لبعض من يحيط به، ويعيش بجواره... ومع أنّ أسبابه طبيعية لكنّ نتائجه لا تخلو من فوائد.

وهكـذا قال الإمام علـيّ عليه السلام: «**إنّ البلاء للظالـم أدب، وللمؤمن امتحـان، وللأنبياء درجـة وللأولياء كرامـة**»[5]. فالبـلاء الذي ينـزل حتّى علـى الظالم ليس شـرّاً محضاً بل فيـه تأديـب، ومحاولة لإعادته إلى الصـواب، وهذا ليس شرّاً وقد ورد عـن الإمام العسكري عليه السلام: «**ما من بليّة إلّا ولله فيها نعمة تحيط بها**»[6].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 40.
(2) سورة هود، الآيتان 100 و 101.
(3) سورة التوبة، الآية 70.
(4) الشريف الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ج2، ص98.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 64، ص235.
(6) ابـن شعبـة الحرّاني، تحف العقول، ص489، تحقيـق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشـر الإسلامي. قم، ط2، 1404هـ.

الحكمة والفائدة من البلاء

نعـم، نحن نعلم أنّ الإنسان موجود ذو بُعدين، أحدهما الجسم والآخر الروح، فلنرَ ما هو الموجب لتكامل الإنسان في هذين البعدين.

نبدأ بالجسم، فما هي الشرائط التي يقوى فيها جسم الإنسان ويتكامل؟ وهل أنّه بقدر ما تكون وسائل الحياة والأكل والشرب مؤمّنة يكون الإنسان قويّاً، أم أنّ هناك شيئاً آخر؟

لا شـكّ أنّ الأمـر ليس كذلـك، فليس تأمين وسائل الأكل والشـرب واللذة هو عامل تقوية وتكامـل الجسم، بل الأمر عكس ذلك تمامـاً، فالأشخاص الذين يعيشون في السرور والنعمة ولـم يتحمّلوا أدنـى المصاعب في حياتهم، هم مـن الناحية الجسميـة أضعف من غيرهم، وقليلاً ما يستطيعون المقاومة أمام الأمراض، وعلى العكس، فالذين لديهم حياة بسيطة جداً في ظروف طبيعية صعبة في حضن الصحراء يمتلكون عادة أبداناً متناسقة قوية.

هـذا القانـون ليس جاريـاً في مورد الإنسان فقـط بل يجري في مجال جميـع الحيوانات أيضاً، فالحيوانات الأهلية التي تؤمّن لها ظروف أفضل للحياة، هي من ناحية القوّة والسلامة والمقاومة مقابل الأمراض لا يمكن قياسها بالحيوانات الوحشية، التي تعيش في ظروف غير مؤاتية وغير طبيعية.

ليـس الأمر كذلـك بالنسبة للإنسان والحيوان فقط بل يجري هـذا القانون في الأعشاب والنباتـات، فالأشجار التي تعيش في سفوح الجبـال وبين الصخور وفي ظروف صعبة ليست قابلة للقياس، من ناحية متانة خشبها وقدرة مقاومتها أمام العواصف الشديدة، مع الأشجار التي تنمو قرب السواقي وفي الأراضي الزراعية المجهّزة.

وليـس هـذا إلّا لأنّ المصاعب (الشدائـد) في نظام الخلقة تعطي القـوّة وتخلق التكامل وتبـدع الكمال، يقول الإمام عليّ عليه السلام في جواب من يخال أنّ الحياة في الظروف الصعبة وأنّ الغذاء البسيط موجب لضعف وخوار الجسم:

«ألا وإنّ الشـجرة البريّة أصـلب عوداً والرواتع الخضـرة أرقّ جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً»[1].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 33، ص 475.

بنـاء عليـه إنّ تكامل وقـوّة جسم الإنسان لا تكـون إلّا في ظلّ المشـكلات والشدائد فهي رياضة لجسم الإنسان بل الحيوانات والنباتات أيضاً.

تكامل الروح

كمـا أنّ جسم الإنسـان لا يقوى إلّا في ظلّ المشكلات والشدائـد، ولا بدّ لأجل تكامله من المصاعب، فروح الإنسان ونفسه أيضاً لن تتكامل إلّا بالتغذية بالمشكلات.

ولا أظنّ أنّ هذا الأمر يحتاج إلى الاستدلال كثيراً، فتجربتنا تغنينا عن كلّ أنواع الاستدلال، ونستطيـع بقليل من التأمّل أنْ نـدرك هذا الواقع، بقياس طفل تحمّـل الظروف القاسية من الناحيـة الروحيـة وانصهر فولاذ روحه في بوتقـة الشدائد، مع طفل آخر لم يـرَ أيّ نوع من الآلام.

المشـكلات ليست غـذاءً لتكامل الجسم فقط، بل روح الإنسان أيضـاً لا بدّ من أنْ تتغذّى بهذا الغذاء من أجل التكامل، فكم هو جميل بيان الرسول الأكرمﷺ لهذا الأمر الواقعي في قوله: «**إنّ الله ليغذّي عبده المؤمن بالبلاء كما تغذّي الوالدة ولدها باللبن**»[1].

بنـاء على هذا نصل إلى هذه النتيجة وهـي أنّ: مشكلات ومصائب المؤمن تكون بمقدار قيمته الواقعية.

قال رسول الإسلامﷺ: «**ما كرم عبد على الله إلّا ازداد عليه البلاء**»[2].

وعن الإمـام الصادقعليه السلام: «**إنّما المؤمـن بمنزلة كفّة الميزان، كلّمـا زيد في إيمانه زيد في بلائه**»[3].

وبنـاء عليه فإنّ الابتلاء هـو طريق التكامل، والارتقاء في مـدارج الكمال لا يتحقّق بدون الابتلاء، وعليه فهو خير لما يؤدّي إليه من هدف سامٍ ومقام رفيع...

---

(1) الريشهري، ميزان الحكمة، ج1، ص 305.

(2) م. ن.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2 ص254.

للمطالعة

كَرَمٌ وصمودٌ في المحنة

يقـول آية الله الفرقاني قال لي أحد الخطباء: أعرف شيخاً شوشتريّاً مسنّاً متديّناً قارئاً للقـرآن، عنده ستة أولاد، ومنذ ثـلاث سنوات أصيب بشلل فأصبح طريح الفراش، وقد طلب منّي أن أخبِر الإمام الخميني قدس سره بحاله لعلّه يستطيع مساعدته. قلت له: حسناً قل للإمام، فاقترب منه وكلّمه بالأمر.

فأجابه الإمام: قل للشيخ فرقاني بأن يذكّرني غداً. فجاء وأخبرني بذلك فقلت له إنّ شاء الله.

وعندما وصلنا إلى الصحن الشريف وأراد الإمام أن يضع رجله داخل الصحن التفت إليّ وقال: لا تنسَ غداً الساعة التاسعة تذهب إلى الشوشتري المشلول.

فسجّلتُ هذا الأمر في دفتر ملاحظاتي لكي لا أنسى. وكانت عادتي أن آتي إلى بيت الإمام الساعة الثامنة صباحاً، ولكن في ذلك اليوم أتيت الساعة السابعة والنصف.

وعندمـا وقع نظري على شارع بيت الإمام رأيته يتمـوّج بالعلماء وكذلك داخل البيت فقد كان مملوءاً بالطلبة فأوجست خيفة في نفسي، ماذا حدث؟

فتقدّم نحوي أحد العلماء وقال: فرقاني هل يأخذون جنازة السيّد مصطفى إلى كربلاء؟ فانهارت أوصالي، وعلمت بأنّ حادثاً وقع لابن الإمام فأجبته: لعلّهم يأخذونها إلى كربلاء.

كنـت لا أدري ولكـن رأيت الطلبة يبكـون، فتقدّمت حتّى وصلت إلى البـاب فرأيت السيّد أحمـد الخميني واقفاً عند الباب حاسر الرأس، يجلس تارة ويقوم، فتوضأ الجميع وامسكوا القـرآن يتلـون آياتـه الكريمة، ونحن جئنـا وفرشنا ساحـة البيت وجاء أكثـر علماء النجف ليقدّموا التعازي للإمام، وامتلأ البيت أسفله وأعلاه والكلّ يبكي.

وفـي هـذه اللحظات انتقل ذهنـي إلى الساعة حيـث كانت تشير إلـى التاسعة، فقلتُ في نفسـي عجباً هـل أستطيع أن أقول للإمام موضـوع الشوشتري الآن، ثمّ قـرّرت أنّه ليس من الصـواب أن أتعرّض لهذا الموضوع بعد الذي حدث. وكان الإمام جالساً في الساحة يستقبل

القادم والذاهب. وفجأة نظر إليّ الإمام!

فتساءلت عند نفسي: ماذا حدث؟

تهيّأت وسألته: تفضّلوا مولانا ماذا تأمرون؟

أشار إليّ: تعال، فتقدّمت قليلاً وانحنيتُ برأسي قريباً منه.

فقال لي: أليس الآن الساعة التاسعة والمقرّر أن تذكّرني حول المساعدة لذلك الشخص الذي تكلّم معي الشيخ الخطيب بصدده؟

فضربت بيدي على وجهي بالرغم من أنّي صمّمت أن أتجلّد أمام الإمام ولا أبكي حتّى لا يتأذّى، ولكن هنا لم أستطع السيطرة على نفسي فقلت له: بهذه الظروف؟

فقال لي: تعال اتبعني إلى الغرفة، فذهب من بين الحاضرين إلى الغرفة وأخرج مبلغاً من المال ووضعه في ظرف ولم يُعلم أحداً بالموضوع، ثمّ ألصق الظرف وقال: الآن تذهب بهذه المساعدة إلى الشيخ الشوشتري وتتفقّد أحواله نيابةً عنّي.

ولكنّي مع ذلك قرّرت في نفسي - بما أنّ هذا اليوم ضيوفنا كثيرون والإمام لا يذهب ليصلّي في المسجد - أن أذهب إلى الشيخ في وقت آخر. ولكن بعد خمس دقائق قال لي الإمام: لماذا لم تذهب؟ اذهب الآن!

ذهبت إلى بيت الشيخ الشوشتري، وفتحتْ لي زوجته الباب فقلتُ لها أتيت من بيت الإمام الخميني قدس سره لكي أتفقّد أحوال الشيخ بالنيابة عن الإمام.

فقالت زوجة الشيخ: في هذا اليوم الإمام يتفقّد أحوالنا!؟ إنّني عندما سمعت بوفاة ولده السيّد مصطفى قلت سوف لن يأتينا أحد من جانبه إلّا بعد سنة واحدة.

وهكذا لمّا رجعت سألني الإمام قدس سره عن الشيخ الشوشتري واطمأنّ على حاله، عندها نهض وتوضّأ وقال: أريد أن أذهب إلى المسجد، فأوعزت إلى أحدهم بأن يذهب ويهيّء المسجد، وعندما ذهبنا إلى المسجد وعلم الناس بأنّ الإمام جاء للصلاة اجتمعوا عند باب المسجد يبكون وينظرون إلى الإمام ويقول بعضهم: عجباً الخميني لا يبكي.

كتاب قصص وخواطر، عبد العظيم مهتدي البحرانيّ، بتصرّف.

الدرس العاشر

الجبر والتفويض

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يذكر عقيدة الجبر ويبيِّن العوامل السياسية والنفسية والاجتماعية التي أدّت إلى تعزيزها.
2. يذكر عقيدة التفويض ويستدل على تنافيها مع العدل الإلهي.
3. يشرح النظرية القرآنية حول عقيدتي الجبر والتفويض.

تمهيد

من المسائل التي دار الجدل حولها، واختلفت الآراء والمذاهب فيها بين إفراط وتفريط، وتفرّعت عن مبحث العدل الإلهي هي المسألة التي ترتبط بأفعال الإنسان، من حيث كونه مختاراً في أفعاله أو مجبراً عليها ولا خيار للإنسان فيها، وهي المسألة المعروفة بـ «**الجبر والتفويض**» أو «**الجبر والاختيار**».

وبسبب ارتباط هذه المسألة بالعدل الإلهي، بُحثت بعد مبحث العدل في الكتب العقائدية.

عقيدة الجبر والعدل الإلهي

يرى الجبريّون أنّ الإنسان في أعماله وأقواله وسلوكه ليس مختاراً، وأنّ حركات أعضائه أشبه بالحركات الجبرية في أقسام جهاز من الأجهزة الآلية.

هذه الفكرة تثير في الذهن هذا السؤال: ترى كيف تنسجم هذه الفكرة مع الاعتقاد بالعدل الإلهي؟

فلا يمكن القول بأنّ الله تعالى يجبر إنساناً على القيام بعمل، ثمّ يعاقبه على ما فعل. ليس هذا من المنطق في شيء!

وبناءً على ذلك، إذا قبلنا بالمدرسة الجبرية، لا يبقى أيّ معنى للقول بوجود «**ثواب**» و«**عقاب**» و«**جنّة**» و«**نار**»، كما لا يكون هناك مكان لمفاهيم مثل: صحيفة الأعمال، والسؤال، والحساب الإلهي، وما جاء في القرآن من ذمّ المسيئين والثناء على المحسنين، وذلك لأنّ رأي الجبريّين يقول:

«**لا المحسن كان مختاراً عندما أحسن، ولا المسيء كان مختاراً عندما أساء**».

إضافة إلى أنّنا عند أوّل اتصال لنا بالدين نواجه التكليف والمسؤولية. وهل يمكن أنْ نكلّف شخصاً بأيّ تكليف، ونحمّله مسؤولية ذلك إذا لم يكن له الخيار فيما يفعل؟

أيجوز أنْ نأمر شخصاً في أصابعه ارتعاش لا إراديّ بأنْ لا يفعل ذلك؟ أم هل يجوز أنْ نطلب من شخص يسقط من مكان شاهق أنْ يتوقّف عن السقوط ومع ذلك يعاقَب لأنّه لم يتوقّف عن الارتعاش أو السقوط؟

ولهذا وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام قول الجبريين بقوله:

«... تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان»[1].

العوامل التي عزَّزت فكرة الجبر

إذا كانت فكرة الجبر واضحة البطلان، ومخالفة للعدل الإلهي، فكيف نشأت هذه الفكرة وما هي العوامل التي عزَّزتها؟

في الحقيقة إنّ مسألة الجبر قد أُسيء استعمالها إساءة بالغة على امتداد التاريخ، واستطاعت عوامل ثانوية كثيرة أنْ تقوي جانب الجبر وإنكار حريّة إرادة الإنسان، ومن تلك العوامل:

أ. العامل السياسي:

كثير من الحكّام المتسلّطين، ولأجل استمرار حكمهم غير المشروع، كانوا يتعهّدون فكرة الجبرية ويشيعونها، قائلين: إنّنا لا نملك حريّة الاختيار، وإنّ يد القدر وجبرية التاريخ تمسك بمصائرنا، فإذا كان بعضٌ أميراً، وبعض آخر أسيراً، فذاك حكم القضاء والقدر والتاريخ.

ولا يخفى ما لهذا الاتجّاه في التفكير من تأثير في تخدير طبقات الشعب، وفي تأييد استمرار السياسات الاستعمارية، بينما الحقيقة هي أنّ مصائرنا، عقلاً وشرعاً، في أيدينا، وأنّ القضاء والقدر بمعنى الجبر وسلب الإرادة لا وجود له، فالقضاء والقدر الإلهي قد تعيّن بحسب حركتنا وإرادتنا وإيماننا وسعينا.

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص 155.

ب. العامل النفسي:

هنـاك أشخاص ضعفـاء وكسالى غالباً ما يكـون الإخفاق نصيبهم فـي الحياة، ولكنّهم لا يريـدون الاعتـراف بهـذه الحقيقة المرَّة، وهـي أنّ كسلهـم أو أخطاءهم هـي السبب في إخفاقهـم، لذلك، ولكي يُبرِّئـوا أنفسهم، يتمسّكون بأذيال الجبريـة، ويضعون أوزارهم على عاتق مصيرهم الإجباري، لعلّهم بهذا يعثرون على وسيلة تمنحهم شيئاً من الهدوء الكاذب، فيعتـذرون قائلين: ماذا نفعل؟ لقد حيك بسـاط حظّنا منذ اليوم الأوّل باللون الأسود، وليس بمقدورنا أن نحيل سواده بياضاً.

ج. العامل الاجتماعي:

يحـبّ بعض الناس أنْ يكونوا أحراراً فـي التمتّع، وإشباع أهوائهم، وارتكاب ما تشاء لهم رغباتهـم الحيوانية أنْ يرتكبوا من الجرائم والآثام، وفي الوقت نفسه يقنعون أنفسهم بأنّهم ليسوا مذنبين، ويخدعون المجتمع بأنّهم أبرياء. وهنا يلجأون إلى عقيدة الجبرية، فيبرّرون جرائمهم بأنّهم في أعمالهم ليسوا مخيَّرين!

ولكنّنـا، بالطبع، نعلـم أنّ كلّ هذا كذب محض، بل إنّ الذين يتذرّعون بهذا العذر يؤمنون بأنّه واهٍ ولا أساس له، إلَّا أنّ انغماسهم في اللذائذ الزائلة لا يسمح لهم بإعلان هذه الحقيقة.

عقيدة التفويض

بإزاء الاعتقاد بالجبر، الذي يقع في جانب الإفراط، هنالك اعتقاد آخر باسم التفويض، ويقع في جانب التفريط.

يـرى الذين يعتقدون بالتفويض أنّ الله قد خلقنـا وترك كلّ شيء بأيدينا، ولا دخل له في أعمالنـا وأفعالنـا، وبناءً على ذلك تكون لنـا الحريّة كاملة والاستقلال التـامّ فيما نفعل بلا منازع!

ولا شكّ في أنّ هذا لا يتّفق ومبدأ التوحيد، إذ إنّ التوحيد قد علَّمنا أن كلّ شيء ملك لله، وما من شيء يخرج عن نطاق حكمه، بما في ذلك أعمالنا التي نقوم بها مخيَّرين وبملء حريّة إرادتنا، وإلَّا فذلك شرك.

وبعبارة أوضح: ليس بالإمكان القول بوجود إلهين، أحدهما هو الإله الكبير، خالق الكون، والآخر الإله الصغير، أيّ الإنسان الذي يعمل مستقلاً وبكلّ حريّة بحيث إنّ الله الكبير لا يستطيع أنْ يتدخل في أعماله!

هذا، بالطبع، شرك وثنائية في العبادة، أو أنّه تعدّد في المعبود، فعلينا إذاً، أنْ نعتبر الإنسان صاحب اختيار فيما يفعل لكي لا يتنافى مع العدل، وفي الوقت نفسه نؤمن بأنّ الله حاكم عليه وعلى أعماله لكي لا يتنافى مع التوحيد.

إذاً، فعقيدة الجبر تتنافى مع العدل الإلهي؛ لأنّها تؤدّي إلى نسبة الظلم لله تعالى، وعقيدة التفويض تتنافى مع التوحيد.

المدرسة الوسط: لا جبر ولا تفويض

إنّ العقيدة الصحيحة لا بدّ من أنْ تنسجم مع الإيمان بعدالة الله تعالى، والإيمان بتوحيده وشمول حكمه عالم الوجود كلّه، وهذه العقيدة هي التي بيَّنها أهل بيت النبوّة عليهم السلام بعنوان «**الأمر بين الأمرين**»، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض إنّما أمر بين أمرين**»[1].

ولكي نفهم هذه العقيدة نضرب المثال التالي:

افرضْ أنك تقود قطاراً كهربائياً متّصلاً من خلال سلك كهربائي بمحطة تمدّه بالكهرباء وباستمرار، بحيث لو انقطع التيار لحظة واحدة لتوقّف القطار فوراً.

بديهي أنّك قادر على أنْ تتوقّف أثناء الطريق حيثما تشاء، ولك أنْ تزيد من سرعة القطار أو أنْ تُنقص منها. ولكن وعلى الرغم من حريّتك هذه، فإنّ الشخص القائم على إدارة محطّة توليد الكهرباء قادر في أيّة لحظة أن يوقف حركتك، وذلك لأنّ قدرتك كلّها تعتمد على تلك الطاقة الكهربائية التي يتحكّم فيها شخص غيرك.

إذا دقّقنا النظر في هذا المثال، نجد أنّه على الرغم من حريّة سائق القطار في الحركة والسكون، إلّا أنّه في نفس الوقت يقع في قبضة شخص آخر، وأنّ هذين الأمرين لا يتعارضان.

نعم لقد وهبنا الله القدرة والقوّة، ومنحنا العقل والذكاء، وهي طاقات لا ينقطع وصولها إلينا من الله تعالى، ولو توقّف فيض لطف الله عنّا لحظة واحدة وانفصمت رابطتنا به، لقُضيَ علينا قضاءً تامّاً.

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص160.

إنّنا إذا كنّا قادرين على إنجاز عمل، فقدرتنا هي التي يهبها الله تعالى لنا، وما زالت تصل إلينا باستمرار غير منقطع، بل إنّ حريّة إرادتنا أيضاً من عنده، أيّ أنّه هو الذي أرادنا أنْ نكون أحراراً في إرادتنا، لكي نواصل مسيرتنا نحو التكامل بهذه الهبات الإلهيّة.

بناءً على ذلك، فإنّنا في الوقت الذي نملك فيه حريّة إرادتنا واختيارنا، نظلّ تحت سيطرة القدرة الإلهيّة، ولا يمكن أنْ نخرج من نطاق حكمه، وإنّنا في لحظة القدرة والقوّة نكون مرتبطين به تعالى، ولا يمكن أنْ نكون شيئاً بدونه، هذا هو معنى «**الأمر بين الأمرين**». إذ إنّنا بهذا لا نكون قد وضعنا أحداً على قدم المساواة مع الله تعالى ليكون شريكاً له، ولا نكون قد اعتبرنا عباد الله مجبرين في أعمالهم لنقول إنّهم مظلومون، فتأمّل!

لقد تعلّمنا هذا الدرس من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فعندما كان الناس يسألونهم عمّا إذا كان هناك سبيل بين «**الجبر والتفويض**» كانوا يقولون: نعم، أرحب ممّا بين السماء والأرض.

القرآن ومسألة الجبر والتفويض

يؤكّد القرآن المجيد في هذه المسألة على حريّة إرادة الإنسان بجلاء ووضوح في المئات من الآيات التي تصرّح بحريّة إرادة الإنسان.

أ. جميع الآيات التي تتناول الأوامر والنواهي والفرائض، تدلّ على حريّة إرادة الإنسان في اختيار سبيله، إذ لو كان الإنسان مجبراً في أعماله لما كان ثمّة معنى في الأمر والنهي.

ب. جميع الآيات التي تذمّ المسيئين وتمدح الصالحين دليل على حريّة الإرادة، وإلّا فلا معنى في الذمّ والمدح إذا كان الإنسان مجبراً.

ج. جميع الآيات التي تتحدّث عن الحساب يوم القيامة، ومحاكمة الناس في تلك المحكمة، ثمّ الحكم بالعقاب أو بالثواب، أيّ النار والجنّة، إنّ هي إلّا دليل على حريّة الإنسان في ما يعمل، لأنّه بالفرض والإجبار لا يكون هناك معنى للمحاسبة والمحاكمة، ويكون إنزال العقاب بالمسيئين ظلماً محضاً.

د . جميع الآيات التي تدور حول:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1].

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[2].

تدلّ دلالة واضحة على حريّة إرادة الإنسان.

هـ . ثمة آيات مثل:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3].

واضحة الدلالة على هذا الأمر.

إلّا أنّ هناك آيات في القرآن المجيد تُعتبر دليلاً على «**الأمر بين الأمرين**»، غير أنّ بعض الجهلاء يخطئون فهمها فيرونها دليلاً على «**الجبر**»، منها:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[4].

من الواضح أنّ هذه الآية وأمثالها لا تعني تجريد الإنسان من حريّة الاختيار، بل تريد أنْ تؤكّد للإنسان أنّه في الوقت الذي يكون فيه تامّ الحريّة والاختيار، لا يخرج عن أمر الله.

---

(1) سورة المدثر، الآية 38.

(2) سورة الطور، الآية 21.

(3) سورة الإنسان، الآية 3.

(4) سورة الإنسان، الآية30.

للمطالعة

قصّة بين جبريّ ومفوِّض

يُـروى أنَّ «**غيـلان الدمشـقي**»، الذي كان تابعاً لعقيـدة الاختيار، جاء يومـاً إلى «**ربيعة الـرأي**» الـذي كان منكراً للاختيار ووقف على رأسه، وقال: «**أنت الذي يزعم أنَّ الله يُحبّ أنْ يُعصـى**» أيّ أنّـه يلزم مـن عقيدتك الجبريّة أنْ تكون معاصي الخلـق بإرادة اللّه، واللّه نفسه يريـد ويحبّ من الخلق أنْ يعصوه. وبـدون أنْ يتّجه ربيعة الرأي إلى الدفاع عن عقيدته اتّجه إلـى مهاجمة نقطة الضعف التي فـي عقيدة غيلان الدمشقي وقال: «**أنت الذي يزعم أنّ الله يعصـى قهـراً**»، أيّ أنَّ اللّه يريـد شيئاً والإنسان يريد شيئاً آخـر ثمّ تصبح إرادة اللّه مقهورة وتابعة لإرادة الإنسان.

الشهيد مطهري قدس سره: **العدل الإلهي**، ص٣١.

الدرس الحادي عشر

ضرورة النبوة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يشرح ضرورة وجود الأنبياء لتكامل البشر وتنظيم حياتهم الاجتماعية والفردية.
2. يبيّن الشروط الثلاثة التي ينبغي توفرها في واضع النظام.
3. يستنتج أن الله عزَّ وجلَّ وحده جامعٌ لشرائط وضع النظام.

تمهيد

اقتضت حكمة اللّه وعدله أنْ يُخلق الإنسان لهدف محدّد، وهذا الهدف لا يمكن الوصول إليه إلّا من خلال معرفة طريقه. كما هو الحال مع كلّ هدف. ، فلو كان الإنسان قادراً على معرفة الطريق بنفسه من خلال الإمكانات الذاتية التي منحه اللّه إيّاها فلا تُعتبر النبوّة عندئذ ضرورية، بخلاف ما لو كان الإنسان غير قادر على ذلك فلا بدّ (بمقتضى الحكمة الإلهيّة) من وجود وسيلة تدلّه وترشده إلى الطريق الموصل إلى الهدف، وليست هذه الوسيلة إلّا النبوّة.

فهل يمكن للإنسان أنْ يكتشف طريق الكمال بنفسه؟

والجواب: إنّ للحياة الإنسانية بُعدين أساسين:

1. البعد الدنيويّ الاجتماعيّ.
2. البعد الأخرويّ الفرديّ.

والإنسان يحتاج إلى تنظيم هذين البعدين لكي يصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، ولا بدّ لمن يضع القانون والنظام من أنْ تتوفّر فيه الشروط التالية:

أ. معرفة الإنسان أيّ معرفة المقنّن له.

ب. معرفة أصول السعادة.

ج. النزاهة عن الهوى والخوف.

وإذا انتفى واحد من الشروط الثلاثة المذكورة، انتفت إمكانية التقنين والتنظيم للإنسان من قبل المقنّن. فهل تجتمع هذه الشروط في موجود ما؟ ومن هو؟.

بيان الشرطين: الأوّل والثاني

لقد ثبت حتّى الآن أنّ العلم لم يستطع إلى اليوم أنْ يعرف الإنسان حقيقة المعرفة وبكلّ

أبعاده البدنيّة والروحيّة الدنيويّة والأخرويّة، الفرديّة والاجتماعيّة، وهكذا يكتشف أنّ الشرط الأوّل غير متحقّق عند البشر، وبما أنّ «**معرفة الإنسان**» هي أساس معرفة أصول سعادته ومعرفة الإنسان غير حاصلة فعلاً، بناءً على هذا نصل إلى النتيجة التالية وهي: أنّ العلم ليس واجداً للشرط الأوّل والثاني لتدوين القانون، وأنّ كلّ ما طرحه حتّى الآن من قوانين الحياة لا أساس له وليس منطقيّاً، ومقنّنو البشر هم كالأطباء الذين يضعون الأدوية إلى جانبهم، ويعطون المريض منها دون تشخيص مرضه، حتّى دون أنْ يسألوه عن مكان ألمه.

وبهذا يظهر فقدان البشر للشرطين الأوّلين وأمّا الثالث:

نزاهة الفكر

فلو فُرض أنّ العلم استطاع يوماً ما كشف كلّ أسرار وجود الإنسان، وحلّ هذا اللغز الصعب، وأدرك إضافة إلى ذلك ما يحتاجه هذا الموجود المعقّد في سيره التكامليّ، مع ذلك أيضاً لا يستطيع أن يضع قانوناً دون أن يدخل فيه آراءه ونظريّاته الخاصّة، وعواطفه الشخصيّة.

يقول «**منتسكيو**» عالم الحقوق الفرنسي الكبير في هذا المجال:

«**ليس هناك مقنّن ليس له رأي خاصّ في القانون، والسبب هو أنّ كلّ مقنّن لديه عواطف وأفكار خاصّة ويريد حال وضع القانون أنْ يجعل مكاناً لنظريّاته**».

«**المقصود هو أنّ القانون يصطدم دائماً بعواطف ومشاعر المقنّنين، وقد يقع مطلقاً وبشكل كامل تحت تأثير عواطف ونظريّات المقنّن الخاصّة**».

ويقع تحت تأثير حاجات المقنن الخاصّة أيضاً ويدلّ على كلّ ما ذكرناه حصول التغيّر الدائم في القوانين الوضعية بين إلغاء لقانون وتعديل لآخر وهكذا...

إذاً، ففكر الإنسان وأقصى ما يصل إليه من علم ومعرفة، لا يمكن أنْ ينفع في هداية الإنسان إلى الكمال.

وهنا يأتي السؤال: من هو الواجد لشرائط التقنين؟

والجواب واضح، وهو أنّ الواجد لهذه الشرائط هو خالق الكون وخالق الإنسان فقط، لأنّه وحده العالم بتمام أسرار وحاجات وجود الإنسان، ولا يمكن تصوّر أيّ حاجة فيه.

أمّـا في مجال الشرط الأوّل «**معرفة الإنسـان**»: فبدليل أنّ اللّه هو خالق وصانع الإنسان، والصانع يعرف مصنوعه أكثر من أيّ شخص آخر، فهو أفضل عارف بالإنسان.

يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

وبالنسـبة للشـرط الثاني «**معرفة أصـول السـعادة**»: فاللّه تعالى يعلم أصول سعادة الإنسان بدليل أنّه هو العالم المطلق: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

وفيما يرتبط بالشرط الثالث «**النزاهة**»:

فإنّـه لا يمكن وجود أيّ نوع من الحاجة عنـد اللّه، فالهوى والخوف لا معنى لهما بالنسبة إليه، ولا يمكن أن يلاحظ منفعة في وضع القانون كما قال سبحانه:

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[4].

التقنين منحصر باللّه عزّ وجلّ

بمـا أنّ اللّه سبحانـه هو الواجد وحده لشرائط التقنين فإذاً، يجب انحصار حقّ التقنين بـاللّه تعالى، وهذا مـا يؤكّده القرآن الكريـم، ويسمّي من لم يحكم طبقـاً لقانون اللّه باسم «**الكافـر**» و«**الظالـم**» و«**الفاسـق**»، فيقـول في مجال انحصـار التقنين باللّه عـزّ وجلّ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[5].

وبالنسبـة لمن لا يحكم طبق قانـون اللّه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[6].

---

(1) سورة ق، الآية 16.
(2) سورة الملك، الآية 14.
(3) سورة البقرة، الآية 231. وذكرت هذه الآية في سورأخرى.
(4) سورة إبراهيم، الآية 8.
(5) سورة الأنعام، الآية 57.
(6) سورة المائدة، الآية 44.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.[1] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

وإذا كان التقنين منحصراً بالله تعالى، فلا بدّ لله تعالى من أنْ يبيّن للناس القوانين والأحكام التي يوصل تطبيقها إلى الكمال الإنسانيّ، وهذا التبيين الإلهي لا بدّ من أن يحصل من خلال بعض الناس المميَّزين الذين يُطلق عليهم مصطلح الأنبياء. من هنا نعرف ضرورة النبوّة. ولا بدّيّة وجود أنبياء يوصلون القوانين الإلهيّة للناس.

الوحي والنبوّة على مدى التاريخ

لذلك كان تاريخ الإنسان بنظر القرآن متّحداً مع تاريخ الوحي والنبوّة، فلقد كان الوحي موجوداً كبرنامج تكامل للإنسان منذ ظهور الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3].

ويذكر الإمام علي عليه السلام هذه الحقيقة أيضاً في موارد متعدّدة فيقول: «**ولم يُخلِ الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسَل، أو كتاب منزَل، أو حجّة لازمة أو محجّة قائمة**»[4].

«**ولم يخلهم بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيَرَة من أنبيائه...**»[5].

وفي كلام آخر له عليه السلام: «**كلّما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف حتّى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم...**»[6].

لزوم الاعتقاد بجميع الأنبياء

إنّ الاعتقاد بنبوّة ورسالة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم أمرٌ لا بدّ منه ولكنّه غير كاف وحده في الاعتقاد بأصل النبوّة، بل لا بدّ من الاعتقاد بجميع الأنبياء وهو أمر ضروريّ، يقول تعالى:

---

(1) سورة المائدة، الآية 45.
(2) سورة المائدة، الآية 47.
(3) سورة فاطر، الآية 24.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج11، ص61.
(5) الشريف الرضي، نهج البلاغة،خطب الإمام علي عليه السلام، ج1، ص 177.
(6) م. ن. ج1، ص 185.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾[1].

ويرى الله سبحانه أنّ إنكار أحد الأنبياء هو إنكار لجميع الأنبياء، وأن المنكر كافر، يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**اعلموا أنّه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقرّ بمن سواه من الرسل لم يؤمن**»[3].

(1) سورة البقرة، الآية 136.
(2) سورة النساء، الآيتان 150و151.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 23، ص96.

للمطالعة

لقـد بُعِثَ الأنبياء من أجل تنميـة معنويات الناس واستعداداتهـم، حتّى نفهم من خلال تلـك الاستعدادات بأنّنا فقراء محتاجون، وإضافة إلى ذلـك إنقاذ الناس، وإنقاذ الضعفاء من نير الاستكبار، وكان على الأنبياء منذ البداية هاتان الوظيفتان، الوظيفة المعنوية لإنقاذ النـاس مـن أسر النفس، ومن أسر الأنا (لأنّ الذات شيطان كبيـر) وإنقاذ الناس والضعفاء من سلطة الظالمين.

هاتـان الوظيفتـان هما وظيفـة الأنبياء، وعندما يلاحـظ الإنسان النبـيّ موسى، والنبيّ إبراهيـم عليهما السلام وما نُقل عنهما في القرآن، فإنّـه يرى بأنّهما قاما بهاتين الوظيفتين: الأولى دعوة الناس إلى التوحيد، والأخرى: إنقاذ المستضعفين من الظلم.

الإمام الخميني قدس سره، صحيفة النور، ج١٨، ص٣٢.

الدرس الثاني عشر

طرق معرفة النبي ﷺ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يستدلّ على ثبوت النبوة من خلال طريقي: تصديق النبي السابق والاعجاز.
2. يبيِّن عناصر الاعجاز في القرآن الكريم بدءً من بلاغته ووصولاً إلى إضاءته عن الغيب وأسرار الكون.
3. يستنتج نبوة النبي الأعظم محمد ﷺ وخلود رسالته.

تمهيد

بعد إثبات ضرورة النبوّة تبقى الإجابة على هذين السؤلين:

أوّلاً: كيف تثبت نبوّة النبيّ؟

وثانياً: كيف لنا أن نفرّق بين مدّعي النبوّة كذباً والنبيّ الحقيقيّ الصادق؟

أمّا الجواب عن السؤال الأوّل فهناك طرق عديدة يمكن من خلالها إثبات نبوّة الأنبياء.

الطريق الأوّل: تصديق النبيّ السابق

إنّ تصديق النبيّ السابق للنبيّ اللاحق هو أحد الطرق لإثبات دعوى النبوّة وذلك لأنّ الفرض هو أنّ نبوّة النبيّ السابق قد ثبتت بالأدلّة القاطعة، ولهذا من الطبيعي أنْ يكون كلامُه سنداً قاطعاً للنبوّة اللاحقة، وهذا ما حدث بالنسبة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يستفادُ من بعض الآيات القرآنيّة أنّ السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بشّر به:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1].

ولم يكذّبه النصارى في تلك الأيّام.

كما وأنَّ من الطريف أنْ نعلم أنّ الإنجيل رغم تعرُّضه للتحريف منذ قرون قد جاء في إحدى نُسخه وهو إنجيل يوحنا (الإصحاح 14، 15، 16) تنبّؤٌ بمجيء شخصٍ بعد السيد المسيح يُدعى «**فارقليطا**» (أي محمّد بالسريانيّة)، ويمكن للمحققين الرجوع إلى ذلك، للوقوف على الحقيقة.

---

(1) سورة الصف، الآية 6.

الطريق الثاني: الإعجاز

يتحقّق الإعجاز الذي يثبت النبوّة بأنْ يأتي مدَّعي النبوَّة بأمرٍ يتحدّى به المنكرين لنبوّته، ويشترط في الأمر الذي يُعَدُّ معجزة:

أ. أنْ يكون خارقاً للعادة.

ب. أنْ يتطابق مع دعواه.

ج. أنْ يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله.

وقد قام الأنبياء السابقون بمجموعة من المعجزات كعصا موسى، وناقة صالح و... وكذلك فقد قام نبيّ الإسلام محمّد ﷺ بعدّة معاجز، تحقّقت فيها العناصر السابقة للدلالة على نبوّته، من قبيل تسبيح الحصى في يده، ومخاطبة الشجرة التي انقلعت من جذورها وأتت إليه، وشقّ القمر إلى نصفين، لكنَّ المعجزة الأهمّ التي أتى بها النبيّ ﷺ والتي يتلاءم إعجازها مع كلّ عصر هي القرآن الكريم.

فإنّ نبيّ الإسلام أعلن عن نبوّته ورسالته بالإتيان بهذا الكتاب السَّماويّ، وتحدّى الناس به، ودعاهم إلى الإتيان بمثله إنْ استطاعوا، ولكن لم يستطع أحدٌ رغم هذا التحدِّي القرآنيّ القاطع أنْ يأتي بمثله في عصر النبوّة.

واليوم، وبعد مرور القرون العديدة، لا يزال القرآنُ يتحدّى الجميع ويقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وفي موضع آخر يقول وهو يتحدّى بأن يأتوا بأقلّ من ذلك: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[2]، وفي موضع آخر ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[3].

إنّنا نعلمُ أنّ أعداء الإسلام لم يألوا جُهداً طيلة خمسة عشر قرناً من بدء ظهور الإسلام في توجيه الضربات إليه، ولم يفتروا عن محاولة إلحاق الضرر بهذا الدين، والكيد له بمختلف ألوانِ الكيد، وحتّى أنّهم استخدموا سلاح اتّهامِ رسولِ الإسلام بالسّحر، والجنون،

(1) سورة الإسراء، الآية 88.
(2) سورة هود، الآية 13.
(3) سورة البقرة، الآية 23.

ومـا شابه ذلك، ولكنّهم لم يستطيعوا قطّ مقابلة القرآن الكريم ومعارضته، فقد عجزوا عن الإتيان حتّى بآية قصيرة مثل آياته.

والعالَـمُ اليـوم مجهَّزٌ كذلك بكلّ أنـواع الأفـكار والآلات، ولكنّه عاجز عـن مجابهة هذا التحدّي القرآنيّ القاطع، وهذا دليلٌ على أنّ القرآن الكريمَ فوق كلام البشر.

عناصر الإعجاز في القرآن الكريم

1. بلاغة القرآن:

ففـي عصر نزول القـرآن الكريم كان أوّلُ مـا سَحَر عيونَ العرب، وحيّـر أرباب البلاغة والفصاحـة منهم، جمـالُ كلمات القرآن، وعجيبُ تركيبه، وتفوّقُ بيانـه، ويُعبَّر عن ذلك كلّه بالفصاحة والبلاغة.

إنّ هـذه الخُصوصيّة كانت بارزةً ومشهودةً للعرب يومـذاك بصورة كاملة، ومن هنا كان رسول الله ﷺ، بتلاوة آيات الكتاب، مرّةً بعد أُخرى، وبدعوته المكرّرة

إلـى مقابلتـه والإتيان بمثلـه إنّ استطاعوا، يدفـع عمالقة اللغـة والأدب، وأبطال الشعر وروّاده، إلـى الخضـوع أمـام القـرآن، والرضوخ لعظمـة الإسلام، والاعتـراف بكون الكلام القرآنيّ فوق كلام البشر.

فهـا هو «**الوليـد بن المغيرة**» أحد كبـار الشعراء والبلغاء في قريش يقول بعد أن سمع آيـات القرآن الكريم، وقد تلاها عليه رسولُ الإسلام، وطُلب منه أن يبدي رأيه فيها: «**ووالله لقَوله الّذي يقولُ لحلاوةً، وإنّ عليه لطَلاوةً، وإنّه لَمُثْمرٌ أعلاهُ، مُغدقٌ أسْفَلُهُ، وإنّه لَيَعْلُو وما يُعلى**»[1].

وليـس «**الوليدُ بن المغيرة**» هو الشخص الوحيدُ الذي يحني رأسه إجلالاً لجمال القرآن الظاهري، ولجلاله المعنوي، بل ثمّة بلغاء غيره من العرب مثل: «**عتبة بن ربيعة**» و«**الطفيل بن عمرو**» أبدوا كذلك عجزهم تجاه القرآن، واعترفُوا بإعجازه الأدبيّ.

(1) الشيخ السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ص 146.

2. أمّيّة النبيّ ﷺ:

فـإنّ الآتي بالقرآن الكريم، كان شخصاً أميّاً لـم يدرُس، ولم يتلقَّ تعليماً قبل النبوّة، فلا هـو دخل مدرسـة أو كتّاباً، ولا هو تتلمذ على أحد، أو قرأ كتابـاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

3. عدم الاختلاف فيه:

فقـد تُلي القرآنُ الكريم على الناس طيلـةَ ثلاث وعشرينَ سنة، وفي ظروف مختلفة (في الصلـح والحرب، في السفـر والحضر، و...) بواسطة رسـول الله ﷺ، وتقتضي طبيعة هذا النمط من التحدُّث والتكلّم، أنْ يقع في كلام المتكلّم نوعٌ من الاختلاف والتعدُّديّة في الأُسلوب والخصوصيّـات البيانيّـة، فطالما كان يقع المؤلّفـون الذين كانوا يُؤلّفـونَ كُتُبَهُمْ في ظُروف عادية متماثلة - رغم مراعاة قواعد التأليف والكتابة وأُصُولها - في الاختلاف والاضطراب فـي الكلام، فكيف بالذي يُلقي كلاماً بالتدريج، وفي أوضـاع متباينة وأحوال مختلفة تتراوح بين الشدّة والرخاء، والحزن والفرح، والقتال والسلام، والأمن والخطر؟!

يقول القرآن نفسُهُ عن هذا الجانب من الإعجاز: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

4. الإخبار بالغيب:

فقد أخبر القرآن الكريم عن طائفة من الحوادث والوقائع المستقبلية إخباراً قطعياً، وقد وقعـت تلـك الوقائع والحوادث فيما بعـد بصورة دقيقة، ولهذا النمط مـن الإخبارات نماذج عديدة، إلّا أنّنا نشير إلى واحدة منها هنا على سبيل المثال:

يـوم تغلّـبَ الساسانيون عُبّادُ النار على الـرُّوم الموحّدين تفـاءَلَ المشركون العرب بهذا الحدث وقالوا: سننتصر نحن على موحّدي الجزيرة العربية (المسلمين) أيضاً، وعند ذاك أخبر القرآنُ الكريمُ بانتصار الرُّوم على الفُرس:

(1) سورة العنكبوت، الآية 48.
(2) سورة النساء، الآية 82.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1].

ولـم تمض بضـع سنوات إلّا وتحقّقت النبـوءةُ المذكورة، وانتصـر كلا الفريقين (الرّوم المسيحيّون ومسلمو الجزيرة العربية) على عدوّيهما (الساسانيين ومشركي قريش).

وقـد تحدّث القرآن الكريم في ذيل الآية عن سرور المؤمنين إذ قال: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

لأنّ كلا الانتصارين حدث في وقتٍ واحدٍ.

5. إخباره عن أسرار الكون:

فقـد بيّن القـرآن الكريم في آيات مختلفـة ومتعدّدة وفي مناسبـات متنوّعة أسرار عالم الخلق التي لم يكُنْ لدى البشر أيُّ علم ولا إلمام بها.

ولا شكّ أنّ الكشف عن هذه الأسرار لشخصٍ لم يتلقَّ تعليماً، ولم يدرس، وذلك في مجتمع جاهليّ لا يعرف شيئاً أصلاً، لا يمكن إلّا عن طريق الوحي.

إنّ الكشف عن قانون الجاذبية الذي يفسَّر على أساسه قيامُ صرح الكون يُعدّ من مفاخر العلم الحديث.

ولقـد كَشَفَ القرآنُ الكريمُ القناعَ عن هذا القانون في عبارةٍ قصيرةٍ إذ قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[2].

وإنّ الكشـف عـن قانون الزوجية العامّة هو الآخر يُعدّ مـن مكتسبات العلم الحديث، وقد تحـدّث عنه القرآن الكريم في عصر لم يكن فيه البشر يعرفون عنه أيّ شيء مطلقاً إذ قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

هـذا وثمّـة نماذج أخرى في هذا المجال جاء ذكرُها في كتب التفسير والعقيدة، أو دوائر المعارف.

---

(1) سورة الروم، الآيات 2 ـ 4.
(2) سورة الرعد، الآية 2.
(3) سورة الذاريات، الآية 49.

للمطالعة

النبيّ محمّد ﷺ والقرآن

«لم يشهد العالم منذ بدء الخلق ولن يشهد حتّى نهايته بركة مخلوق كبركة وجود الرسول الأكرم ﷺ».

«النبيّ الأعظم ﷺ هو ظلُّ الله، وهو لم يأتِ بشيء من عند نفسه، إنْ هو إلّا وحيٌ يوحى».

«إنّ القرآن مائدة افترشها الشرق والغرب منذ نزول الوحي، وحتّى يوم القيامة، فهو الكتاب الذي ينهل منه العامّي والعالم والفيلسوف والعارف والفقيه على اختلاف مشاربهم».

«إنّ للقرآن الكريم حقّاً علينا وعلى جميع البشر، لذا فهو يستحقّ التضحية».

الإمام الخميني قدس سره، الكلمات القصار، ص٢٠. ٢١. ٥٠.

الدرس الثالث عشر

عصمة الأنبياء عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يحدّد معنى العصمة.
2. يستدل على عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الخطأ في تلقي الوصي وتبليغه، والعصمة عن الوقوع في المعصية.
3. يشرح فلسفة الإعتصام بالله ويبرهن على عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام منذ الولادة.

تمهيد

«**العصمة**» هي إحدى أهمّ خصائص أنبياء اللّه تعالى، بل هي إحدى اللوازم التي لا تنفكّ عن النبوّة، وسوف نتعرّض في هذا البحث إلى المطالب التالية:

الأوّل: معنى العصمة.

الثاني: ضرورة عصمة الأنبياء.

الثالث: فلسفة العصمة.

1. معنى العصمة:

لفظ «**العصمة**» من مادة «عَصَمَ»، وفي اللغة بمعنى «**المنع**» و«**الوقاية**». قال تعالى: ﴿قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[1].

وفي الاصطلاح: قوّة باطنية تمنع الإنسان من الخطأ مع قدرته على فعله.

وعندما يُطرح لفظ «**العصمة**» بالنسبة للأنبياء أو أوصيائهم في المباحث العقائدية، فالمقصود عدة أنواع من الوقاية يتمتّع بها الهداة المصطفَوْن من اللّه تعالى أهمّها نوعان هما:

أ. الوقاية من الخطأ في تلقّي الوحي وتبليغه.

ب. الوقاية من المعصية.

ونتحدّث هنا عن ضرورة هذين النوعين من العصمة.

---

(1) سورة هود، الآية 43.

2. ضرورة عصمة الأنبياء عليهم السلام:

أ. العصمة عن الخطأ في تلقّي الوحي وتبليغه.

لا بدّ وبالضرورة أنْ يكون الأنبياء الإلهيون مصانين من الخطأ في تلقّي «**الوحي**» وإبلاغه للناس، كي لا يشكّ الناس أنّه من الممكن أنْ يكون ما نقله هذا النبيّ باسم «**الوحي**» وكلام الله تعالى خطأ واشتباهاً.

دليل هذه الضرورة واضح، لأنّه لا تتحقّق فلسفة الوحي والتكامل في صورة عدم وجود الوقاية لأنّ الخطأ في تلقّي «**الوحي**» وتبليغه يستتبع قطعاً الانحراف عن سير التكامل، وعلى فرض عدم صدور خطأ عملياً، فعدم صيانة النبيّ عن الخطأ كاف في سلب ثقة الناس بالنبيّ والأخذ بكلامه، ولذلك يجب وبحكم العقل القطعيّ أن يصون اللّه تعالى رسله عن الخطأ في إبلاغ الوحي ويعصمهم.

ب. العصمة عن المعصية

يجب أنْ يكون أنبياء الله مصونين عن المعصية إضافة إلى الوقاية من الخطأ في تلقّي الوحي وتبليغه، لأنّهم يعملون لأجل إنقاذ المجتمع من المفاسد والضياع والقبائح، وهدايته نحو فلسفة الخلق والتكامل. فإذا لم يكن لديهم وقاية من الغرق في الفساد فلن يستطيعوا أنْ يحقّقوا الهدف الإلهيّ من بعثتهم وهو هداية الناس، ويكون حالهم كمن لا يعرف السباحة وهو غير مصون من الغرق، ومع ذلك يريد إنقاذ الغرقى من البحر. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[1].

3. فلسفة العصمة:

ذكرنا أنّ العصمة هي قوّة باطنية، وقد فُسرّت على أنّها من سنخ العلم اليقينيّ بمفاسد المعصية، وهذا العلم هو من العلم الحضوريّ الذي لا يقبل الخطأ وهو ملازم للعمل بمقتضاه وهذا لا يعني أنّ كلّ علم بلوازم المعصية هو سبب حدوث الوقاية والعصمة، بل يجب أنْ يكون تجلّي الواقع من العلم قويّاً وشديداً، لدرجة أن لوازم وآثار المعصية تتجسّد وتظهر للإنسان، بحيث يرى بعين قلبه لوازم أعماله موجودة ومحقّقة، وفي هذه الحال يصير صدور المعصية عنه محالاً عادة.

(1) سورة يونس، الآية 35.

وهـذه القوّة والعلم يعطيها الله تعالى ويفيضها على من يستحقّها من الناس، على أساس الأهلية والقابلية عندهم. وقد بيّن هذا القانون في الآية الكريمة، قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

الصـراط المستقيم هو الطريق الـذي لا يتضمّن أيّ انحراف فكريّ أو عمليّ وتأويله أهل بيت العصمة، ففي الزيارة الجامعة:

«**أنتـم الصـراط الأقـوم**» فالصراط المستقيم هو رسول الله وعلـيّ وسائر المعصومين عليهم السلام أيّ أنّـه العصمة التي تجسّدت فيهم صلـوات الله عليهم، فيصبح معنى الآية أنّه من يعتصـم بـالله يُعصَم، فالهداية إلى الصراط المستقيم متوقّفـة على الاعتصام بالله تعالى وهـذا الاعتصام ناتج عن شعـور الإنسان بضعفه وفقره؛ لأنّ الإنسـان المستغني لن يعتصم بالله تعالى بل سوف يدبر عن الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[2].

فمـن يرَ عجزه وفقره يتوجّـهُ إلى مصدر القوّة والغني المطلَـق ويعتصم به، فيهديه الله تعالى عندها إلى الصراط المستقيم، الذي ليس فيه أيّ اعوجاج أو انحراف فكري أو عملي، وهذا هو معنى العصمة.

وهنا يأتي إشكال، وهو: إنّ لازم تفسير العصمة بالمعنى السابق هو أنْ تحصل العصمة بعـد اعتصام الإنسان بالله تعالى، وقبل ذلك لا وجـود لها، فكيف نقول بعصمة الأنبياء منذ ولادتهم؟

والجـواب هـو: إنّ الله تعالـى إذا علم المسير الـذي سيسلكه شخص مـا في مستقبل حياتـه، جعله مورد لطفـه وعنايته منذ اليـوم الأوّل لحياتـه، بمقدار حسن اختيـاره وسعيه الدائم في المستقبل، وصانه من الانزلاق. يقول الإمام الباقر عليه السلام مصرّحاً بهذه الحقيقة في رواية عنه: «**إذا علم الله تعالى حسن نيّة من أحد اكتنفه بالعصمة**»[3].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 101.
(2) سورة العلق، الآيتان 6 و 7.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج75، ص188.

«**الاكتناف**» الذي جاء في الحديث في مجال العصمة هو بمعنى «**الإحاطة**»، ويعني أنّه عندما يعلم الله تعالى حُسن نيّة شخص ما، يحيطه من كلّ جانب بحصن العِصمة ومَلكة التقوى حتّى لا يُبتلى بالخطأ والمعصية.

ويؤيّد ما مرّ الجُمل الواردة في مطلع دعاء الندبة، إذ يبدأ الكلام في أوّل هذا الدعاء، عن عهد بين الله سبحانه وأحبائه، ثمّ يذكر بشكل صريح أنّ الله سبحانه عندما علم أنهم سيوفون بعهدهم، شمَلَهُم بعنايته وكرامته بنزول الملائكة والوحي عليهم. جاء في الدعاء:

«**... بعد أنْ شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقرّبتهم وقدّمت لهم الذكر العليّ والثناء الجليّ، وأهبطت عليهم ملائكتك وكرّمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذرائع إليك والوسيلة إلى رضوانك..**».[1]

ونختم الدرس ببيان رائع ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب له لزنديق من بني أميّة يوضّح ما ذكرناه:

قال الزنديق: «**فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟**» قال عليه السلام: «**الشريف المطيع والوضيع العاصي**»، قال: «**أليس فيهم فاضل ومفضول؟**» قال عليه السلام: «**إنّما يتفاضلون بالتقوى**»، قال: «**فتقول إنّ كلّ ولد آدم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى؟**» قال عليه السلام: «**نعم إنّي وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم والأم حوّاء خلقهم إله واحد وهم عبيده، إنّ الله عزّ وجلّ اختار من ولد آدم أناساً طهّر ميلادهم، وطيّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم**».

«**فعل ذلك لا لأمر استحقّوه من الله عزّ وجلّ ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواء. ألا من اتّقى الله أكرمه ومن أطاعه أحبّه، ومن أحبّه لم يعذّبه بالنار...**»[2].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج99، ص104.

(2) م.ن. ج10، ص 170.

للمطالعة

حقيقة العصمة

العصمة حالة نفسية وأنوار باطنية تتفجّر من نور اليقين الكامل والاطمئنان التامّ.

إنّ مصدر جميع الخطايا والمعاصي التي تصدر عن الإنسان هو النقص في اليقين والإيمان، وإنّ مراتب اليقين والإيمان مختلفة بدرجة لا يمكن عدُّها وبيانها، وإنّ اليقين الكامل والاطمئنان التامّ الذي يحظى به الأنبياء، والحاصل من المشاهدة الحضورية هو الذي يعصمهم من الآثام. إنّ يقين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد أبلغه إلى مستوى يقول فيه: «**والله لو أُعطيت الأقاليم السَّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته**»[1].

الإمام الخميني قدس سره، الأربعون حديثاً، الحديث ٣١.

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج2، ص 218.

الدرس الرابع عشر

ختم النبوّة وضرورة الإمامة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يستدل على ختم نبوة النبي محمد ﷺ من خلال النص القرآني والروائي.
2. يبرهن على ضرورة الإمامة من خلال الحاجة إلى حفظ الشريعة وإكمال تبليغها والحاجة إلى قيادة المجتمع.
3. يستدلّ على تعيين النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام خليفة من بعده من خلال آية التبليغ وحديث الغدير.

ختم النبوّة

مـن خصائـص نبـوّة الرسـول الأكـرم محمّـد ﷺ أنّهـا النبـوّة الخاتمة، فلا نبـيّ بعد محمّـد ﷺ، وهذا ما نصَّ عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1].

ونصّ على ذلـك نفس رسول اللّه ﷺ حينما تهيّأ لغزوة تبـوك وترك الإمام عليّاً عليه السلام في المدينة قائلاً له: «**أما ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**»[2].

ضرورة الإمامة

ومـن خـلال ثبوت ختـم النبوّة نطلّ علـى ضرورة الإمامـة بعدها بالاعتمـاد على أمرين أساسين:

الأوّل: حفظ الشريعة وإكمال تبليغها

فـإنّ فترة الثـلاث والعشرين سنة التي قضاها النبيّ ﷺ بعد نبوّته لم تكن كافية لتحقيق الهـدف الإلهـي الأسمى في إيصـال الشريعة لكلّ الناس، فقد أمضـى ﷺ ثلاث عشرة سنة مـن عمره الشريف في مكّة؛ يحارب الشرك وعبـادة الأصنام دون أنْ يستجيب لدعوته سوى قلّـة من الناس، الذين غلـب عليهم الاستضعاف حتّى هاجر نصفهـم الهجرتين، ثمّ أمضى السنـوات العشـر التالية في المدينة في الغزوات والحروب التـي تجاوزت الثمانين حسب ما نقل لنا التاريخ.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 40.

(2) الشيـخ جعفـر، كاشـف الغطاء، كشف الغطـاء عن مبهمـات الشريعة الغـراء، ج1، ص10، تحقيـق مكتب الاعلام الإسلامـي- خرسان، نشر مركـز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، مطبعة مكتـب الاعلام الإسلامي، ط1، 1422هـ، حديث المنزلة.

وعلى الرغم من أنّ الرسول الأكرم ﷺ لم يترك لحظة من عمره دون أن يستغلّها لنشر الدعوة والتعاليم الإسلاميّة، إلّا أنّ تلك الفرصة لم تسنح له بتحقيق كلّ آماله وتطلّعاته بنشر كلّ الرسالة بتفاصيلها إلى الأمّة، لذا كان لا بدّ من اختيار شخص يخصّه النبيّ ﷺ بالتعليم ليخزّن فيه تفاصيل الشريعة، فيحفظ شريعة الإسلام ويبيّن أحكامها للناس بعد النبيّ ﷺ.

الثاني: قيادة المجتمع

والحاجة الأخرى للإمام تكمن في الحاجة إلى تعيين القائد الذي يرئس المجتمع الإسلامي، لا سيّما مع ما كان يتهدّد البلاد الإسلاميّة من الأخطار الثلاثة المتمثّلة في: الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية وفريق المنافقين الداخليين.

أيصدّق أحد أنّ رسول الله ﷺ لم يترك المدينة لبضعة أيّام (عند خروجه إلى غزوة تبوك) إلّا بعد أن عيّن من يقوم مقامه فيها، ومع ذلك لم يعيّن أحداً ليخلفه بعد مغادرة الدنيا نهائياً، ويترك الأمّة نهب الاختلافات والاضطرابات والحيرة، دون أنْ يضمن للإسلام استمراريّة حكم شخص هاد ومرشد يعتمده!.

لا يشكّ عاقل أنّ عدم تعيين خليفة ينطوي على أخطار كبيرة على الإسلام اليافع.

إنّ العقل والمنطق يحكمان بأنّ أمراً كهذا يستحيل صدوره عن عاقل فضلاً عن نبيّ الإسلام.

وبهذا يثبت أنّه لا بدّ من تعيين إمام من قبل النبيّ ﷺ يحقّق من خلاله استمرارية الإسلام والحفاظ عليه، وقد عيّن النبيّ ﷺ ونصّ على الإمام من بعده.

النصّ على الإمام عليّ عليه السلام

وقد كان الشخص المؤهّل للمنصبين السابقين هو علي بن أبي طالب عليه السلام، لذا كان هو عليه السلام محلّ الاختيار الإلهيّ.

من هنا وردت الآيات والروايات العديدة التي تواتر بعضها على النصّ عليه كخليفة لرسول الله ﷺ.

ولعلّ من أبرز ما ورد في ذلك هو آية التبليغ التي أعقبها حديث الغدير المتواتر. فقد أنزل الله تعالى على رسوله الأكرم ﷺ قبل وفاته بمدّة قليلة ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

ولا شكّ في دلالة الآية على مهمّة خطيرة وُضعت على عاتق رسول اللّه ﷺ قد تواجه معارضة بعض الناس.

ولا شكّ أنّ هذه المهمّة لم تكن تتعلّق بقضايا التوحيد والشرك ومحاربة الأعداء، لأنّ هذه المسائل كانت كلّها قد حُلّت قبل نزول هذه الآية.

ثمّ إنّ إبلاغ أحكام الإسلام للناس لم يكن يوماً مصحوباً بمثل هذا القلق والتوجّس، بينما يتبيّن من الآية أنّ المهمّة كانت على قدر من الأهمّية بحيث إنّها لا تقلّ وزناً عن أداء الرسالة برمّتها، بحيث لو أنّه لم يؤدّ تلك المهمّة لكان كأنّه لم يؤدّ الرسالة نفسها. فهل هناك ما يمكن أن تكون له مثل هذه الأهمّية سوى مسألة تعيين خليفة رسول اللّه؟ خاصّة وأنّ الآية قد نزلت في أواخر عمر النبيّ ﷺ، أيّ في الوقت المناسب لتعيين من يخلف النبيّ من بعده، للاطمئنان على استمرار النبوّة والرسالة.

وهناك روايات كثيرة عن فريق كبير من أصحاب الرسول ﷺ تذكر أنّها نزلت في عليّ عليه السلام وكان من نتائجها حديث الغدير المشهور.

حديث الغدير

يقول الكثير من المؤرخين إنّ رسول اللّه ﷺ أدّى فريضة الحجّ في آخر سنة من سنوات عمره الشريف، وبعد الانتهاء من الحجّ، رجع ومعه جماعات غفيرة من أصحابه القدامى والجدد والمسلمين المولعين به، الذين كانوا قد اجتمعوا من مختلف نقاط الحجاز ليلحقوا برسول اللّه ﷺ في أداء فريضة الحجّ، وعند وصولهم إلى مكان بين مكّة والمدينة اسمه «**الجحفة**»، تقدّمهم نحو «**غدير خمّ**» حيث كانت الطريق تتفرّق، فيتفرّق عندها الناس كلّ إلى وجهته.

ولكن قبل أنْ يتفرّق الناس من هناك إلى الأنحاء المختلفة، أمر الرسول ﷺ الناس بالتوقّف ودعا الذين سبقوه إلى الرجوع، وانتظر حتّى لحق به من تأخّر، وكان الطقس شديد الحرارة ومحرقاً، ولم يكن في تلك الصحراء المترامية ما يُستظلّ به. أدّى المسلمون صلاة

(1) سورة المائدة، الآية 67.

الظهـر مـع رسول اللّه ﷺ، وعندمـا أراد الناس الانصـراف إلى خيامهم فـراراً من حرارة الطقس، أخبر النبيّ ﷺ أنّ عليهم أنْ يستمعوا إلى بلاغ مهمّ جديد من جانب اللّه في إحدى خطبه المسهبة.

أقيـم لرسـول اللّه منبر من أحداج الإبل، فارتقاه، وبعد أنْ حمد اللّه وأثنى عليه، كان من جملة ما قال:

«... **أمّا بعد أيّها الناس، اسـمعوا منّي أبيّن لكم فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا. أنا مسؤول وأنتم مسؤولون. تُرى كيف تشهدون لي**»؟ رفع الناس أصواتهم قائلين:

نشهد أنّك قد بلغّت ونصحت وجاهدت فجزاك اللّه خيراً.

فقال النبيّ ﷺ: «**أتشـهدون بأنْ لا إلَهَ إلّا اللّه، وأنّ محمّداً رسـول اللّه، وأنّ اللّه سـيبعث من في القبور يوم القيامة**»؟.

فقالوا جميعاً: نعم نشهد بذلك. فقال: «**اللّهم أشهد**»! ثمّ سألهم: «**أيها الناس، أتسمعون صوتي**»؟

قالـوا: نعم. وسـاد الجمع صمت لم يُسمع خلاله شيء سوى صـوت هبوب الريح. وأخيراً قال ﷺ: «**أنبئوني ما تفعلون بهذين الثقلين اللذين سأتركهما بين ظهرانيكم**»؟

فقام رجل من بين الجمع وقال:

أيّ ثقلين تعني يا رسول اللّه؟

فقال رسول اللّه ﷺ:

«**الثقـل الأوّل هـو الثقل الأكبر، كتاب اللّه، القرآن، ما إنْ أخذتم به لن تضـلّوا.. والثقل الثانـي هـو عترتي، آل بيتـي. ولقد أخبرني اللطيـف الخبير بأنّهما لـن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، إنْ سبقتموهما هلكتم، وإنْ تخلّفتم عنهما هلكتم**».

ثـمّ نظر النبـيّ ﷺ إلى أطرافه كأنّه يبحث عن شخص، فلما وقع بصره على عليّ عليه السلام انحنى وأمسك بيده ورفعها حتّى بان بياض إبطيهما، فرآه الناس وعرفوه.

وارتفـع صـوت النبـيّ ﷺ وهو يقـول: «**أيّهـا الناس، مَـن أولـى الناس بالمؤمنين من أنفسهم**»؟

فقالوا: اللّه ورسوله أعلم.

فقال: «**إنّ اللّه مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه**». وكرّر هذا القول ثلاث مرات. وقال بعض الرواة إنّه كرّره أربع مرّات، ثمّ رفع رأسه الشريف إلى السماء وقال:

«**اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِر الحق معه حيث دار**».

ثم قال: «**ألا هل بلّغت**»؟

قالوا: نعم.

قال: «**فليبلّغ الشاهد الغائب**». وقبل أن يتفرّق الجمع نزل جبرائيل الأمين بالآية التالية على رسول اللّه ﷺ: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1].

فقال النبيّ ﷺ: «**اللّه أكبر، اللّه أكبر، على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ من بعدي**».

فحصل هرج ومرج بين الناس وراحوا يتزاحمون لتهنئة عليّ عليه السلام بالولاية، وكان منهم أبو بكر وعمر، اللذان تقدّما إلى عليّ عليه السلام يقولان: **بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة!**[2].

هذا الحديث أورده عدد كبير من علماء الإسلام في كتبهم، بعض بصورة مسهبة وبعض باختصار شديد، وبشيء من الاختلاف في بعض الألفاظ. ويُعتبر من الأحاديث المتواترة التي لا يمكن لأحد أنْ يشكّ في صدورها عن رسول اللّه ﷺ.

(1) سورة المائدة، الآية 3.

(2) الأميني، عبد الحسين احمد، الغدير، ج 1، ص 11، نشر دار الكتاب العربي ـ لبنان، ط4، 1977م.

للمطالعة

الإمامة

إنّ ربّ هـذا العالم الذي وضـع القوانين لحياة الناس، وجاء بالأحكام لسعادتهم في هذه الدنيـا وفي ذلك العالم، لا بدّ بحكم العقل مـن تطبيقها كما يريد، وهذا لا يحتاج إلى دليل لأنّه من أحكام العقل الواضحة حيث إنّ كلّ مشرّع في العالم يضع القانون للتنفيذ والتطبيق، وليس للكلام والكتابة، وطبيعيّ أنّ القوانين والأحكام الإلهيّة لا تنحصر بزمان الرسول فقط، ويجـب أن تطبّـق من بعده أيضاً كما هو واضح، فلا بدّ والحال هذه أنْ يعيّن الخالق شخصاً يعلـم قوله وقول رسوله بالتفصيل، ودون أيّة نقيصة أو زيادة، ولا يخطئ في تطبيق القوانين الإلهيّة، ولا يكون خائناً ولا كذّاباً ولا ظالماً ولا منتفعاً ولا طمّاعاً ولا طالباً للرئاسة والجاه ولا يتخلّف بنفسه عن القانون، أو يأمر الناس بالتخلّف، ولا يستأثر لنفسه ولمصالحه، وهذا هو معنى الإمامة.

والذي يملك مثل هذه الأوصاف هو الإمام، وبشهادة التواريخ المعتبرة والأخبار المتواترة عـن السنَّة والشيعة، فإنّه لا يوجد بين جميـع الناس من يحمل مثل هذه الأوصاف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

الإمام الخميني قدس سره، كشف الأسرار.

الدرس الخامس عشر

إمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يستدلّ على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام من خلال روايات أهل السنة.
2. يحلّل روايات أهل السنة حول الإمامة.
3. يستدلّ على إمامة الأئمّة عليهم السلام عقلاً من خلال برهان الأفضلية.

بعـد إثبات الإمامة والخلافة المباشرة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يأتي دور الكلام على إمامة سائر الأئمّة.

روايات إمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام

تحدّثـت كتـب عديدة لأهل السنّـة والشيعة عن خلافة «**الاثني عشـر إمامـاً وخليفة بعد رسول الله**صلى الله عليه وآله».

هـذه الأحاديـث مرويّـة في أهـمّ كتب أهـل السنّة، مثـل «**صـحيح البخاري**» و«**صـحيح الترمذي**» و«**صحيح مسلم**» و«**صحيح أبي داود**» و«**مسند أحمد**» وأمثالها.

وفـي كتاب «**منتخب الأثر**» مئتان وواحد وسبعون حديثاً بهذا الشأن، معظمها منقول من كتب أهل السنّة وسائر المصادر الشيعية.

وكمثال على ذلك نقرأ في «**صحيح البخاري**»، وهو من أشهر كتب أهل السنّة، ما يلي:

يقـول جابر بن سمرة: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «**يكون اثنا عشـر أميراً**» ثمّ قال كلمة لم أسمعها. فقال أبي إنّه قال: «**كلّهم من قريش**»[1].

وقد ورد هذا الحديث في «**صحيح مسلم**» هكذا: قال جابر: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «**لا يَزَالُ الإسلامُ عَزيزاً إلى اثنيْ عشرَ خليفة، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش**»[2].

وفي «**مسـند أحمـد**» عن عبد اللّه بن مسعود، الصحابي المعـروف، أنّه قال: سئل رسول اللّه صلى الله عليه وآله بشأن الخلفاء، فقال: «**الخلفاء بعدي إثنا عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل**»[3].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار،ج36، ص 266.

(2) م.ن، ص 362.

(3) م.ن، ص230.

محتوى هذه الأحاديث

هذه الأحاديث التي يرى بعضها أنّ «**عزّة الإسلام**» منوطة «**بالاثني عشر خليفة**»، ويرى بعضها الآخر أنّ حياة الدين وبقاءه إلى يوم القيامة موقوفان عليهم، وأنّهم كلّهم من قريش، وفي بعضها كلّهم من بني هاشم لا تنطبق على أيّ مذهب سوى المذهب الشيعيّ، وذلك لأنّ توجيهها بسيط وواضح بحسب معتقدات أهل الشيعة، في الوقت الذي يصل فيه علماء أهل السنّة في توجيهها إلى طريق مسدود.

هل المقصود هم الخلفاء الأربعة الأُوَل إضافة إلى خلفاء بني أميّة وبني العباس؟

نحن نعلم، بالطبع، أنّه لا الخلفاء الأوَل كانوا اثني عشر، ولا بانضمام خلفاء بني أميّة وبني العباس إليهم بلغوا هذا العدد. إنّ العدد اثني عشر لا ينطبق على أيّ منهم.

ثم إنّ من بني أميّة خلفاء مثل «**يزيد**» ومن بني العباس مثل «**المنصور الدوانيقي**» و«**هارون الرشيد**»، ممن لا يشكّ أحد فيما ارتكبوه من جرائم وظلم وطغيان، فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال اعتبارهم خلفاء للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومدعاة لعزّة الإسلام ورفعته، مهما تساهلنا في تبسيط الموازين.

وإذا تجاوزنا عن كلّ ذلك، فإنّنا لن نجد العدد اثني عشر يتمثّل في أيّة مجموعة منهم سوى في أئمّة الشيعة الاثني عشر.

تعيين الأئمّة عليهم السلام بالاسم

يقول الشيخ سليمان القندوزي، العالم السنّي المعروف، في كتابه «**ينابيع المودّة**» :

جاء رجل يهودي يُدعى نعثلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من بين الأسئلة التي ألقاها عليه أنّه سأله عن أوصيائه وخلفائه من بعده، فقال رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّ وصيّي عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين.

إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن

فابنه الحجّة محمّد المهديّ، فهؤلاء إثنا عشر».

وفي الكتاب نفسه، نقلاً عن كتاب «**المناقب**»، حديث آخر جاء فيه ذكر الأئمّة الاثني عشر بالاسم واللقب، ويشير إلى غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه وإلى نهضته «**وأنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت جوراً وظلماً**»[1].

أمّا الأحاديث الواردة بهذا الخصوص عن طرق الشيعة فكثيرة تفوق حدّ التواتر، فتأمّل!.

بالإضافة إلى الطريق المذكور فإنّ إثبات إمامة كلّ إمام يتمّ بطريق النصوص والروايات الواردة عن كلّ إمام سابق بالنسبة للإمام اللاحق، وكذلك عن طريق معجزاتهم.

الأفضليّة دليل على الإمامة

يحكم العقل الإنساني بتقديم الأفضل على الفاضل، ويُعتبر الرجوع إلى الأفضل في كلّ المجالات سيرة للعقلاء. وقد عبّر الإسلام من خلال القرآن الكريم والروايات عن معايير الأفضلية، نذكر هنا بعضاً منها:

العلم: قال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾[2].

التقوى: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3].

الجهاد: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

وقد مُلئت كتب السيَر والتاريخ شهادات من الصديق والعدوّ، عن علم الأئمّة عليهم السلام وتقواهم وورعهم وزهدهم وحلمهم وكرمهم و...

(1) الشيخ جعفر، السبحاني، رسائل ومقالات، ص 406.
(2) سورة الزمر، الآية 9.
(3) سورة الحجرات، الآية 13.
(4) سورة النساء، الآية 95.

للمطالعة

يقول سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودّة»:

«قال بعض المحقّقين إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان عُلم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمّة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أنْ يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أنْ يحمله على الملوك الأمويّة لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم من غير بني هاشم لأنّ النبيّ ﷺ قال: كلّهم من بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجّح هذه الرواية لأنّهم لا يحسِّنون خلافة بني هاشم، ولا يمكن أنْ يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1].

وحديث الكساء فلا بدّ من أنْ يُحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متّصلاً بجدهم ﷺ وبالوراثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيّد هذا المعنى، أيّ أنّ مراد النبيّ ﷺ الأئمّة الاثنا عشر من أهل بيته، ويشهده ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكرّرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها».

---

(1) سورة الشورى، الآية 23.

الدرس السادس عشر

الإمام المهدي ﷺ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن حتمية الحكومة الإلهية العالمية من خلال الآيات القرآنية.
2. يستدلّ على أنَّ مؤسس الحكومة الإلهية هو الإمام المهدي ﷺ.
3. يحدِّد روائياً: سيرة الإمام المهديّ ﷺ؛ ولادته، عمره الشريف، بعض علامات ظهوره، صفات دولته الكريمة.

القرآن وحتميّة الحكومة الإلهيّة العالميّة

يعتبـر القرآن الكريم –كمـا باقي الكتب السماوية – أنّ استخـلاف المؤمنين في الأرض ووراثتهـم لها وعد إلهيّ حتمـي. وقد أشارت مجموعة من الآيـات الكريمة إلى هذه الحقيقة نذكر منها قوله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[1].

تبيِّـن هـذه الآية بجـلاء أنّ الحكم على الأرض سيخـرج في النهاية من أيـدي الجبّارين والظالمين، وسيكون الحكم بيد المؤمنين الصالحين.

وفـي أثر الآية المذكورة والوعد الذي فيها، يعـد الله ثلاثة وعود أخرى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[2].

من هو مؤسّس الحكومة الإلهيّة؟

إنّ الأحاديـث التي تشير إلى الحكومة العالمية القائمـة على السلام والعدل، تشير أيضاً إلى أنّ الذي يؤسّسها هو واحدٌ من أهل بيت رسول اللهﷺ اسمه المهديّ وقد وردت في كتب الشيعة والسنّة، وهي من الكثرة بحيث تعدّت حدود التواتر.

نقـرأ في الرسالة التي أصدرتها «**رابطة العالم الإسـلاميّ**» وهـي أكبر مركز دينيّ في الحجاز ما يلي:

---

(1) سورة النور، الآية 55.

(2) سورة النور، الآية 55.

«أعلن فريق من الحفّاظ والمحدّثين أنّ أخبار المهديّ فيها الصحيح وفيها الحسن، وهي في المجموع من المتواتر قطعاً، وأنّ الاعتقاد بقيام المهديّ صحيح وواجب، وهذا من عقائد أهل السنّة والجماعة المسلّم بها، ولا ينكره إلّا كلّ جاهل وصاحب بدعة».

وهو عند الشيعة من الضروريات، بحيث إنّه لا يمكن لأحد أنْ يعتنق المذهب الشيعيّ دون الاعتقاد بظهور المهديّ عجل الله فرجه.

نكتفي بذكر حديث من باب المثال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ألا أبشّركم. أيّها الناس. بالمهديّ»؟** قالوا: بلى. قال: **«فاعلموا أنّ الله تعالى يبعث في أمّتي سلطاناً عادلاً وإماماً قاسطاً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»**[1].

من هو المهديّ؟

إنّ تحديد شخصية المهديّ عجل الله فرجه تفرض الرجوع إلى الروايات، والتي من خلالها نكتشف هذه الشخصية، والروايات في المقام على طوائف سيتمّ عرض نموذج من كلّ طائفة.

الطائفة الأولى: المهديّ من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله:

قال رسول الإسلام صلى الله عليه وآله: **«لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»**[2].

في تفسير الآية ﴿وَعَدَ اللَّهُ...﴾ قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: **«هم والله شيعتنا يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهديّ هذه الأمّة»**[3].

الطائفة الثانية: المهديّ هو الخليفة الثاني عشر:

أشار علماء أهل السنّة في الرسالة المذكورة أعلاه إلى:

«أنّه آخر الخلفاء الراشدين الإثني عشر الذين أخبر عنهم النبيّ صلى الله عليه وآله في أحاديث صحاح».

---

(1) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمّد باقر الأنصاري، ص478، نشر دليل ما، مطبعة نكارش، ط1، 1422هـ.

(2) الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج3، ص 358، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، نشر مكتبة الصدر. طهران، مطبعة الهادي. قم، ط2، 1416هـ.

(3) الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات، ج1، ص 369.

الطائفة الثالثة: المهديّ هو التاسع من ولد الحسين

وقد ذكرت المصادر الشيعية أنّه التاسع من أولاد الإمام الحسين عليه السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«... **وهو التاسع من ولد ولدي الحسين، اسمه اسمي وكنيته كنيتي**»[1].

الطائفة الرابعة: المهديّ هو محمّد بن الحسن العسكري

وهذا واضح من خلال الرواية التي مرّت في الدرس السابق عن الشيخ سليمان القندوزي، العالم السنّي المعروف، في كتابه «**ينابيع المودّة**»:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إنّ وصيّي عليّ بن أبي طالب،... فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهديّ، فهؤلاء إثنا عشر**»[2].

هل وُلد المهديّ؟

اختلف السنّة مع الشيعة في قضية ولادة الإمام المهديّ، ففي حين تقول الشيعة بولادته تنكر السنّة ذلك. وقد ذكرت الشيعة مجموعة من الأدلّة على ولادة الإمام نوردها باختصار:

أ. معرفة إمام الزمان

نقرأ في كتب أهل السنّة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«**من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية**»[3]. هذا الحديث نفسه ورد في كتب الشيعة بهذه الصورة: «**من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية**»[4].

يدلّ هذا الحديث دلالة بيّنة على أنّ الإمام المعصوم موجود في كلّ عصر وزمان وأنّ من الواجب معرفته، وأنّ عدم معرفته على درجة من الضرر بحيث إنّه يضع الإنسان عند تخوم الكفر والجاهلية.

---

(1) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمّد باقر الأنصاري، ص 479.

(2) المفيد، محمّد بن محمّد النعمان، أوائل المقالات، ص 284، تحقيق الشيخ إبراهيم الأنصاري، نشر دار المفيد - لبنان، ط2، 1993م.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص316.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 20.

ب . الروايات التي دلّت على كونه ابن الحسن العسكريّ عليه السلام:

فكونه ابن الإمام العسكريّ عليه السلام كما مرّ يدلّ بشكل واضح على أنّه قد وُلد وأنّه حيٌّ يُرزق لينفذ الوعد الإلهيّ بإقامة حكومة العدل.

ج . طول عمر الإمام

لا يمكن لمن يؤمن بالقرآن الكريم أنْ يرفض إمكانية إطالة عمر الإمام لأنّ القرآن أشار بشكل واضح إلى طول عمر نوح عليه السلام من خلال قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1].

وكذلك فإنّ إطالة عمر الإنسان ممكنة من الناحية العلمية، ولا تتعارض مع النظريات العلمية الحديثة، التي تسعى كي يصبح هذا الأمر أمراً ممكناً من الناحية العملية.

د. غيبة الإمام

وقد ذكرت الروايات المتواترة أنّ للإمام غيبة عن الناس قبل إقامته لحكومة العدل، وهذه الغيبة تطول إلى أنْ يأذن الله تعالى له بالظهور لينفّذ الوعد الإلهيّ، وقد ذكرت الروايات الأسباب والفوائد والحكم من هذه الغيبة، من قبيل الحذر من القتل وقلّة الأنصار وامتحان المؤمنين وعدم البيعة للظالمين... إلخ. ولولا كونه مولوداً لما كان هناك داعٍ لطول العمر ولا للغيبة، وهذا واضح لا لبس فيه.

زمان ظهور الإمام

إنّ وقت ظهور الإمام لا يعلمه إلّا الله تعالى. وقد أشارت الروايات إلى حرمة التوقيت لظهور الإمام وتكذيب الموقّتين، ولكنّها وضعت مجموعة من العلامات التي تدلّ على ظهور الإمام وقُسّمت إلى قسمين حتمية وغيرها.

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**من المحتوم الذي لا بدّ من أنْ يكون من قبل قيام القائم خروج السفيانيّ، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، والمنادي من السماء**»[2].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 14.

(2) النعماني، محمّد بن إبراهيم، كتاب الغيبة، ص264، تحقيق فارس حسون كريم، نشر أنوار الهدى، مطبعة مهر. قم، ط1، 1422هـ.

دولة الإمام

في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيّامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حقّ إلى أهله.... وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فحينئذ تُظهر الأرض كنوزها، وتُبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولبرّه لشمول الغنى جميع المؤمنين»[1].

ولاية الفقيه

لم يترك الناس في فترة غياب الإمام دون راع ومرشد حاضر بينهم، ولذلك تمّ إرجاعهم إلى الفقيه الجامع للشرائط، الذي يُعتبر نائباً للإمام ووليّاً لأمر المسلمين، واعتُبرت طاعته طاعة لله ومعصيته معصية لله تعالى.

(1) اليزدي الحائري، الشيخ علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، ج2، ص 246، تحقيق السيد علي عاشور.

للمطالعة

الإمام المهديّ عجل الله فرجه

إنّ قضية غيبة صاحب الأمر هي قضية مهمّة تُفهمنا مسائل عديدة، منها أنّ مثل هذا العمل العظيم والذي بواسطته سوف تُملأ الأرض عدلاً بمعناه الواقعي، فإنّه لا يوجد بين البشر سوى المهديّ الموعود عجل الله فرجه والذي ادَّخره الله تبارك وتعالى للبشرية من يقدر على تحقيقه، فالعدالة كانت هدف جميع الأنبياء وأرادوا أنْ يطبّقوها في جميع العالم، لكنّهم لم يُوفّقوا لذلك، وحتّى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء لإصلاح الناس، ولتحقيق العدالة وتربية الناس، فإنّه لم يُوفّق في زمانه لتحقيقها بهذا المعنى، وإنّ الذي سيتمكّن من ذلك، وينشر لواء العدل في كلّ الأرض هو الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وإنّ العدالة التي سوف ينشرها ليست هذه العدالة التي يفهمها الناس العاديّون، والتي هي فقط العدالة في الأرض من أجل تحقيق رفاه الناس، بل العدالة في جميع مراتب الإنسانية، إذ إنّ إعادة الإنسان عن انحرافه سواء الانحراف العملي أم الروحي أم العقليّ إنّما تعني تحقيق العدالة في الإنسان: إذا كانت هناك انحرافات في العقائد فإنَّ تصحيح تلك الانحرافات الموجودة في العقائد وجعلها عقيدة صحيحة وصراطاً مستقيماً، يعني إيجاد العدالة في عقل الإنسان، فإنّ هذا سيحدث في زمان ظهور الإمام المهديّ الموعود عجل الله فرجه الذي ادّخره الباري، لأنْ لا أحد من الأوّلين والآخرين كانت عنده هذه القدرة، وهي موجودة فقط عند المهديّ الموعود، فإنّه سوف يملأ جميع العالم عدلاً، وهذا ما لم يتمكّن منه الأنبياء، رغم أنّهم جاؤوا لأداء تلك المهمّة، فالله تبارك وتعالى ادَّخره لتحقيق هذا الأمر المهمّ الذي كان حُلُم الأنبياء، بيدَ أنّ الموانع جعلتهم غير قادرين على تحقيق ذلك، وكان أمل جميع الأوّلياء، ولكنّهم لم يوفّقوا إليه، وإنّه سوف يتحقّق على يد هذا العظيم، وهذا هو سبب العمر الطويل الذي وهبه الله تبارك وتعالى، فبعد الأنبياء والأولياء الكبار آباء المهديّ الموعود لم يكن هناك أحد يستطيع تحقيق ذلك، لذا فلو أنّ المهديّ الموعود كان يذهب إلى جوار رحمة الحقّ كسائر الأوّلياء، لما كان بين البشر أحد يقدر على تطبيق العدالة، وقد ادّخره الله لهذا العمل العظيم.

ولهذا فإنّ عيد ولادة صاحب العصر أرواحنا له الفداء يعدّ أكبر عيد للمسلمين، وأكبر عيد للبشرية جمعاء.

الإمام الخميني قدس سره، صحيفة النور، ج١٢، ص٢٠٧.

الدرس السابع عشر

المعاد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يذكر ضرورة الإعتقاد بأصل المعاد.

2 . يستدلّ على أصل المعاد من خلال دليل الحكمة الإلهية.

3 . يستدلّ على أصل المعاد من خلال دليل العدالة الإلهية.

يعتقد كلّ من يقرّ بوجود الله سبحانه بالمعاد، إذ لا يمكن فيما يبدو أنْ نجد إنساناً يؤمن بالمبدأ وينكر المعاد.

وبشأن إثبات أصل المعاد جاؤوا بأدلّة كثيرة نعرض منها ما يلي:

1. الحكمة الإلهيّة

يتمثَّل الدليل الأوّل لإثبات المعاد، بوجود الغاية من خلق الوجود (ومنه الإنسان).

إنَّ عالـم الوجـود برمّته يحكي حقيقة أنَّ وراء هذا العالم مدبّـراً حكيماً، وهذه الحقيقة شاخصة للجميع، واضحة للعيان.

ولازم ذلـك أنْ يكـون وجـود العالم عبثاً من دون المعـاد، وإلّا فكيف نصـدّق أنّ الإنسان المخلوق من نطفة، المخلوقة بدورها من تراب، يعيش حياته بكلّ ما يُرافقها من مشقّة وأذىً وألـم، مـن دون أنْ تكون لوجوده غايـة، ولحياته هدف وعاقبة ينقلب إليهـا؟ وكيف نتعقّل أنّ كلّ شـيء ينتهي بالموت ومع الموت، بحيـث تبدو كلّ أشواط الحياة بدون ثمرة وغاية؟ وكيف نستطيع أصلاً أنْ نوجّه فلسفة الخلق والوجود والغاية منهما؟

لذلـك تقضي الغايـة المفترضة لوجود هذا العالـم بضرورة المعاد واليـوم الآخر، لكي تنتفي العبثية ولا يكون الهدف من الخلق عبثاً وباطلاً.

وقـد عبّـر القرآن الكريـم عن هـذه الحقيقة بقوله تعالـى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

(1) سورة المؤمنون، الآية 115.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

والآية واضحة في أنّ من لا يتصوّر أنّ للخلق هدفاً وغاية ومآلاً، هو الكافر الذي لا يعتقد بـ «**المبدأ**»، وإلّا فلو كان مؤمناً بـ«**المبدأ**» لاعتقد بالمعاد حتماً وضرورة. ذلك لأنّ العبث والباطل مستحيلا الصدور عن الله سبحانه لأنّه خالق العقل، ولا يصدر منه سبحانه غير المعقول، لذلك وجب أن يكون «**المعاد**» لكي لا يكون الوجود عبثاً وباطلاً.

2. العدالة الإلهيّة

العدالة، هي الدليل الثاني من أدلّة إثبات المعاد.

إنّ مقتضى عدل الله سبحانه أنْ يكون للناس يومٌ يجتمعون فيه، فيجزى كلّ ذي عمل بعمله، ويلزم من إنكار ذلك تصوّر صدور الظلم منه سبحانه، أيّ أنّ من ينكر المعاد والحساب والجزاء يكون كمن يقول بصدور الظلم عنه سبحانه.

فإنكار المعاد يتنافى مع العدل الإلهي، ثمّ إنّه مع إنكار المعاد يبقى الإنسان في حيرة من هذه الأسئلة، إذ من يا ترى يقتصّ من الحكّام الظلمة الذين يهرقون دماء الأبرياء بالألوف، وينتهكون أعراض النساء، ويهدرون وينهبون ثروات المسلمين وما حباهم الله به من خيرات؟ ومن يُذيقهم وبال ما كسبت أيديهم؟ وهل يمكن الاقتصاص من هؤلاء في الحياة الدنيا وحسب؟ وإذا حُكمَ على هؤلاء في الدنيا بالإعدام والموت ولو مئات المرّات قصاصاً، لما جنت أيديهم، فهل يكافئ ذلك دماء الأبرياء وظُلاماتهم وآلامهم؟.

إذاً، لا سبيل في اقتصاص الحقّ من الظالمين، والانتصاف للمظلومين، سوى وجود «**المعاد**».

ثمّ لمّا كان مقتضى العدل الإلهي مجازاة الإنسان بدقّة، خيراً فعل أم شرّاً، فسيكون تحقّق العدل الإلهي غيرَ متيسّر إلّا بوجود المعاد ويوم الجزاء.

(1) سورة ص، الآية 27.

يقـول تعالـى: ﴿يَوْمَئِـذٍ يَصْـدُرُ ٱلنَّـاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَـرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ﴾[1].

وبمقتضـى الآيـات الكريمة، فإنّ عدم مجـازاة الإنسان يوم القيامة علـى ذرّة من أعمال الخير أو الشرّ التي يقوم بها، سيعدّ مغايراً للعدالة الإلهيّة.

وإذا أردنا أنْ ننتقل في معالجة هذا البُعد إلى زاوية أخرى، فسنجد أنّ المجاهد في سبيل الله، الـذي تـرك لذّات الدنيا وشهواتهـا ليقاتل العدوّ، لا يمكن أنْ يستـوي في حساب العدل الإلهي مع القاعد، بل هو أعلى منه درجة في الدنيا وفي الآخرة، فالمجاهد يعيش في الدنيا وقرينـه النور وصفـاء القلب، مكلّلاً بالعطايـا والمواهب المعنوية، أمّا فـي الآخرة، فسينال السعادة الأبدية وينزل في الجنّة برفقة الأنبياء والصدّيقين والأولياء.

والسـؤال المثـار هنا هو: ما هو وجه العدالة في مكافأة من لا يحمل همّ الإيمان، ولا يهتمّ بصراع الإسلام والكفر، ومجازاته مجازاة المجاهد؟.

لذلـك جاء الخطاب الإلهي يميِّز بيـن الاثنين، وهو يزفّ البشرى لمـن يُدافع عن حريم الإسـلام ومقدّساته، ويدافع عن قيم الإنسانية، ويعيش الحياة جهاداً وحماساً ليصنع مآثر الخُلـد، إذ يقول سبحانه فيـه: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[2]، وقـال تعالـى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

(1) سورة الزلزلة، الآيات 6 ـ 8.
(2) سورة الفجر، الآيات 27 ـ 30.
(3) سورة النساء، الآية 95.

للمطالعة

فطرية عالم الآخرة

إنّ من الفطرات الإلهيّة التي فُطرت عليها العائلة البشرية كافّة هي فطرة عشق الراحة، فلو أنّك راجعت كلّ عصور التمدّن والتوحّش، والتديّن والتحلّل، ورجعت إلى جميع أفراد الإنسان الجاهل والعالم، والوضيع والشريف، والمدنيّ والبدويّ، وسألته «**لم كلّ هذا التعلّق المتنوّع والأهواء الشتّى، وما الغاية من تحمّل كلّ هذه المشقّات والصعوبات والمعاناة في الحياة؟**» فإنّهم جميعاً وبكلمة واحدة وبلسان الفطرة الصريح يجيبون قائلين: بأنّ كلّ ما يتوخّونه إنّما هو لراحتهم، والغاية النهائية والمرام الأخير وأقصى ما يتمنونه هو الراحة المطلقة الخالية من كلّ تعب ونَصَب. ولأنّ هذه الراحة التي لا تمازجها مشقّة، والتي لا يشوبها ألم ونقمة، هي معشوقة الجميع، ولأنّ هذه المعشوقة المفقودة يظنها كلّ إنسان في شيء، لذلك فهو يتعلّق بكلّ شيء يظنّ أنّ محبوبه موجود فيه، مع أنّ مثل هذه الراحة المطلقة لا وجود لها في كلّ أرجاء عالم الملك وزواياه. إنّ جميع نعم هذا العالم يصاحبها العناء والعذاب المضني، وما من لذّة في الدنيا إلّا وفيها ألم كبير. إنّ العذاب والتعب والألم والحزن والهمّ والغمّ تملأ أرجاء هذا العالم.

وعلى امتداد حياة البشر، لن تجد فرداً واحداً يتساوى عذابه وراحته، ونعمته توازي تعبه ونقمته، فكيف بتلك الراحة الخالصة المطلقة أنْ تكون له؟ وبناءً على ذلك، فإنّ معشوق الإنسان لا يوجد في هذا العالم الدنيويّ. إنّ العشق الفطريّ الجبليّ الفعليّ، وفي جميع أبناء البشر، لا يمكن أن يكون بدون معشوق فعليّ موجود.

إذاً، لا بدّ من أن يكون هناك في دار التحقّق وعالم الوجود عالم، لا تشوب راحته شائبة من ألم وعذاب وتعب، راحة مطلقة لا يخالطها شيء من العناء والشقاء، سرور دائم خالص لا يعتريه حزن ولا همّ. ذلك العالم هو دار نعيم الله، عالم كرامة ذات الله المقدّس.

الإمام الخميني قدس سره، الأربعون حديثاً، الحديث ١١.

الدرس الثامن عشر

الانتقال إلى العالم الآخر

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى حقيقة الموت وعالم البرزخ.

2 . يميّز بين حالات سكان عالم البرزخ.

3 . يستدلّ على المعاد الجسماني من خلال دليل الإجماع والدليل القرآني.

تمهيد

مـن الأمور الحتمية والمشاهدة فـي هذا العالم موت كلّ إنسـان، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]. وهـذه الحقيقة لا يمكن لنا أنْ نفرّ منها بأيّ شكل من الأشكال، وأنفاسنا هـي خطواتنا المتسارعة إلى تلك الساعة المحتومة. وحقيقة الموت أنّه انتقال من عالم إلى آخـر، وانقطـاع الصلة ما بين الجسـد والروح. وهذا الأمر يوكل به ملـك الموت الذي يتوفّى الإنسان، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ...﴾[2].

وتتفاوت حالة الأشخاص في نزع الروح من جهة الشدّة والراحة.

عالم البرزخ

وبعـد نزع الـروح وإغماض العين عن هذا العالم نكون قد دخلنـا إلى عالم جديد، يسمّى عالم البرزخ الذي يمتدّ إلى يوم البعث، قال تعالى:

﴿... وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3].

وقد قسمت الروايات سكان عالم البرزخ إلى ثلاثة أقسام: متنعّم ومعذّب ومخوّف.

ولتتّضح الصورة ننقل هذه الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام:

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: «**على الخبير سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإما تحزين وتهويل وأمر مبهـم، لا يـدري مـن أيّ الفرق هو، فأمّـا وليّنا والمطيع لأمرنا فهو المبشّـر بنعيم الأبد، وأمّا عدوّنا المخالف علينا فهو المبشّـر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله وهو المؤمن المسـرف على نفسـه، لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً**

(1) سورة العنكبوت، الآية 57.
(2) سورة السجدة، الآية 11.
(3) سورة المؤمنون، الآية 100.

مخوفاً، ثمّ لن يسوّيه الله عزّ وجلّ بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتّكلوا، ولا تستصغروا عقوبة الله عزّ وجلّ، فإنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلّا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة»[1].

عالم القيامة

ذكرنا أنّ عالم البرزخ يمتدّ إلى وقت البعث. ومعنى البعث هو بعث الجسد حيّاً بعد أنْ كان ميتاً، ومن بعد البعث يكون الحشر، ثمّ الحساب، ثمّ دخول الجنّة أو النار. وقد يدخل بعض المسرفين النار ثمّ يخرج منها، إمّا من خلال الشفاعة أو بعد تطهيره من آثار الذنوب والمعاصي وانقضاء عقوبته.

المعاد جسمانيّ وليس روحانياً فقط

المقصود بالمعاد الجسمانيّ، هو أن يُحشر الإنسان في القيامة بروحه وجسده ونفس خصائص شخصيته التي كان عليها في الدنيا، وعندما يُنتهى من حسابه يُدفع به روحاً وجسداً، إمّا إلى الجنّة مُنعماً أو إلى النار معذّباً، والذي عليه عقيدتنا أنّ الإيمان بالمعاد الجسمانيّ هو من ضرورات الإسلام، تماماً كالصلاة والصيام.

وفلسفة الحديث عن مصطلح «**المعاد الجسمانيّ**» هو الاختلاف الذي نشأ بين الفلاسفة غير المسلمين في معنى المعاد، وفيما إذا كان روحياً فقط أم جسمياً وروحياً. وفي هذا السياق ذهب بعض الفلاسفة من غير المسلمين للقول بمعاد الروح دون الجسد، أمّا الفلاسفة المسلمون فكلمتهم مجتمعة على الاعتقاد بالمعاد الجسمانيّ الذي يعتبرونه من الثوابت ومن المسلّمات والضروريات.

وبهذا يتّضح أنّ إجماع أهل الإسلام، من الشيعة والسنّة، والفقهاء والفلاسفة والمتكلّمين، على أنّ المعاد الجسماني هو من ضرورات الدين، وأنّ الإنسان يحشر في القيامة على هيئته التي كان عليها في الدنيا، فيحاسب ثمّ يذهب بنفس الهيئة إلى الجنّة أو النار.

وللقرآن الكريم منهجه الخاصّ في الاستدلال على «**المعاد الجسماني**» وإثباته، وسنشير في الفقرات الآتية إلى مناهج الأدلّة ومضامينها.

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج6، ص154.

اللذائذ الجسمية: ومثالها الأكل والشرب، والسكن في قصور الجنّة والنزول في غرفها، ومشاهدة المناظر الجميلة، وغير ذلك

العذاب الجسديّ: كاحتراق لحم الإنسان وجلده وعظامه، والشراب من «**حميم**» وأكل «**الزقّوم**».

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾[1].

ومن المؤكّد أنَّ مقتضى «**اللذة و العذاب الجسميين**» هو «**المعاد الجسماني**» وإلّا كان توجيه الخطاب القرآني للذّة والعذاب الجسديّين لغو وعبث، وكلاهما مستحيل على الله تعالى.

نطق الجوارح في القيامة

عندما يتسلّم المفسدون وذوو الصفات الشيطانية صحيفة أعمالهم السوداء، وما جنت أيديهم، يحاولون أنْ ينكروا نسبة أعمالهم إليهم، يقول سبحانه عن هذا المشهد الأخروي: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[2].

والذي نستفيده من هذه الآية هو حضور أجسادهم في القيامة، كي يكون بمقدور الجوارح أنْ تشهد، لأنّه ليس للروح، لو كان المعاد روحيّاً وحسب، يد أو رجل، ومن البديهيّ أنّ لازم هذا المعنى تحقّق «**المعاد الجسماني**».

(1) سورة النساء، الآية 56.
(2) سورة يس، الآية 65.

للمطالعة

عذاب الآخرة

إنّنا لا نستطيع أنْ ندرك صعوبة وشدّة حرارة نار الآخرة في هذا العالم، إذ إنّ اختلاف شدّة العذاب وضعفه من جهة، تتبع قوّة الإدراك وضعفه؛ إذ كلّما كان المدرك أقوى والإدراك أتمّ وأنقى، كان إدراك الألم والعذاب أكثر.

ومن جهة أخرى، تعتمد على اختلاف الموادّ التي يقوم بها الحسّ في تقبّل الحرارة، لأنّ الموادّ تختلف من حيث تقبّل الحرارة. فالذهب والحديد مثلاً، يتقبّلان الحرارة أكثر من الرصاص والقصدير، وهذان يتقبّلانها أكثر من الخشب والفحم، وهذان أكثر من الجلد واللحم.

فأمّا جسم الإنسان في هذا العالم فلا يتحمّل الحرارة، إذ لو بقي ساعة واحدة في نار الدنيا الباردة لاستحال إلى رماد، ولكنّ الله القادر يجعل هذا الجسم يوم القيامة بحيث يبقى في نار جهنّم - التي شهد جبرائيل بأنّه لو جيء بحلقة واحدة من سلاسل جهنّم التي طول الواحدة منها سبعون ذراعاً إلى هذه الدنيا لأذابت جميع الجبال من شدة حرارتها - دائماً ولا يذوب ولا ينتهي...

فقابلية جسم الإنسان للحرارة يوم القيامة لا تقاس بهذا العالم...

وأما نار هذه الدنيا فهي نار باردة ذاوية وعرضية ومشوبة بموادّ خارجية غير خالصة، أمّا نار جهنم، فهي نار خالصة لا تشوبها شائبة...

ولو تجمّعت جميع نيران العالم وأحاطت بإنسان، لما أحاطت بغير سطح جسمه، أمّا نار جهنّم، فتحيط بالظاهر والباطن وبنفس الحواسّ المدركة ومتعلّقاتها. إنّها نار تحرق القلب والروح والقوى، وتتّحد بها بنحو لا نظير له في هذا العالم.

الإمام الخميني قدس سره، الأربعون حديثاً، الحديث ٤.

مركز نون
للتأليف والترجمة

مركز نون، من مؤسسات جمعيّة المعارف الإسلاميّة، يختصّ بتخطيط البرامج والمتون التعليميّة والثقافيّة، وتأليف وإعداد المتون التعليميّة والثقافيّة العامّة، مراعياً القواعد المنهجيّة والبحثيّة والتربويّة، وحفظ الأصالة الإسلاميّة.

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

1040001
DIB UNL 03 336218